بسم الله الرحمن الرحیم

اللهم صل علی محمد و ال محمد

کانون قرآن و عترت علیهم السلام
پردیس علوم دانشگاه تهران

از نگاه علامه

رساله انسان

علامه محمد حسین طباطبایی

مدرسه دانشجویی قرآن و عترت علیهم السلام
تهران: میدان انقلاب - خیابان ۱۶ آذر - پلاک ۲۵
تلفن: ۸۸۹۶۸۳۰۹ - ۰۹۱۲۵۵۴۹۸۴۴

مدرسه قرآن و عترت علیهم السلام

رسالة الانسان *قبل الدنيا*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أوليائه المقربين، سيما محمد و آله الطاهرين.

هذه رسالة الإنسان قبل الدنيا، نشير منها إلى ما جرى على الانسان قبل هبوطه و وقوعه فى ظرف الحياة الدنيا على ما دبّره العليم القدير، على ما ينتجه البرهان، و يستفاد من ظواهر الكتاب و السُنَّه، و الله المعين.

الفصل الأول

العِلَّة و المعلول

قد تبين بالبرهان فى الفلسفة الأولى أنَّ العلَّية تقتضى قيام المعلول فى وجوده و كمالاته الأوّليّة و الثانوية بالعلَّة، و إنَّ ذلک كلَّه من تنزّلات العلة دون النواقص و الجهات العدَمية.

و أيضاً إنَّ عالم المادة مسبوقٌ الوجود بعالمٍ آخرَ غيرِ متعلق بالمادة، فيه أحكام المادة و هو علَّته، و بعالَم آخَر مجردٍ عن المادة و أحكامها، هو علَّة علَّته، و يسمّيان بِعالمى المثال و العقل، و عالمى البرزخ و الروح.

و يُستنتج من ذلک أنَّ الإنسان بجميع خصوصيات ذاته و صفاته و أفعاله موجودٌ فى عالم المثال من غير تحقق أوصافه الرذيلة، و أفعاله السيئة، و لوازمه الناقصة، و جهاته العدميّة.

فهو كان موجوداً هناک فى أهنأ عيش و أقرَّ عين، فى زمرة الطاهرين و صفَّ الملائكة المقدّسين، مبتهجاً بما يشاهده من نورِ ربِّه، و نورانيّة ذاته، و تشعشع أفقه، ملتذّاً بمرافقة الأبرار، و مسامرة الأخيار، لايَمَسُّه فيها

تَعَب و لا لغوب، و لا يتكدّر بكدورات النواقص و العيوب. لا حجاب بينه و بين ما يشتهيه، و لا ألمَ و لا ملالَ يعْتريه.

الفصل الثانى

بين الخلْق و الأمر

و ظواهر الكتاب و السُّنَّة تدلّ على ما مرّ، قال تعالى:

« **ألا له الخَلْق و الأمر تبارک الله رب العالمين** » [1].

ففرّق سبحانه بين الخلق و الأمر، فعلمنا أنّ الخلقَ غيرُ الأمر بوجه، و ليس الأمر مختصّاً بآثار أعيان الموجودات، حتى تختصّ الأعيان بالخلق، و آثار الأعيان بالأمر؛ لقوله سبحانه:

« **قل الروح من أمر ربى** » [2].

فنسب سبحانه الروحَ، و هو من الأعيان إلى الأمر، و قوله تعالى:

« **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** » [3].

أفادَ أنَّ أمرَه هو إيجادُه بكلمةِ كُنْ، سواء كان عيناً أو أثَرَ عَيْنٍ، و حيث ليس هناک إلَّا وجودُ الشىء الذى هو نفس الشىء، تبين أنَّ فى كلِّ شىءٍ أمراً إلهياً.

ثم قال سبحانه:

« **إنا خلقناهم من طين لازب** » [4].

---

[1] – سورة الأعراف الآية : ۵۴.

[2] – سورة الإسراء الآية : ۸۵.

[3] – سورة يس الآية : ۸۲.

[4] – سورة الصافات الآية : ۱۱.

و قال:

« **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه** » [1] .

و غير ذلک من الآيات المفيدة أن الخلقَ بالتدريج.

و قد قال سبحانه:

« **و ما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر** » [2] .

و قال:

« **ما خلقكم و لا بعثكم إلا كنفس واحدة** » [3] .

و قال:

« **و ما أمر الساعة إلا كلمح البصر** » [4] .

فأفاد عدم التدريج فى الأمر.

تبيَّن بمجموعِ الآيات أنَّ الأمر أمْرٌ غيرُ تدريجىّ بخلاف الخلق، و إنْ كانَ الخلْق ربما استُعْمِل فى مورد الأمْر أيضاً.

و بالجملة ففيما يتكون بالتدريج، و هو مجموع الموجودات الجسمانية و آثارها، و جهان فى الوجود الفائض من الحق سبحانه؛ وجه أمرى غير تدريجىٍّ، و وجهٌ خلقى تدريجىّ، و هو الذى يفيده لفظ الخلق من معنى الجَمْعِ بعْدَ التفرقة.

و قد أفاد قوله سبحانه:

« **انما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** » [5] الآية .

إنَّ الأمرَ سابقٌ على الخلق، و إنَّ الخلق يتبعه و يتفرّع عليه، و هو الذى يفيده قوله سبحانه:

« **بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون** » [6] .

فعمل الملائكة –و هم المتوسّطون فى الحوادث– بواسطة الأمر.

---

[1] – سورة الانسان الآية : ٢.

[2] – سورة القمر الآية : ٥٠.

[3] – سورة لقمان الآية : ٢٨.

[4] – سورة النحل الآية : ٧٧.

[5] – سورة يس الآية : ٨٢.

[6] – سورة الأنبياء الآيتان : ٢٦ و ٢٧.

فتحصّل من الجميع: أنَّ فوق عالم الأجسام، و فيه نظام التدريج، عالماً آخَرَ يشتمل على نظام موجوداتٍ غيرِ تدريجية، أى غير زمانية، يتفرع كلُّ موجود زمانىّ من مظروفات نظام التدريج على ما هنالک من الموجودات الأمرية، و هى محيطة بها، موجودة معها، قائمة عليها، كما يفيده.

(فالتدبير و هو الإتيان بالأمر، دبر الأمر و عقبيه يصدر من العرش أولاً، ثم يتنزل الأمر من سماء إلى السماء ما يختص بها من الأمر، فإنّ الأمر كلمته سبحانه، فإلقاؤه إلى شىء، وحى منه إليه، و لا يزال يتنزل سماءً سماءً حتى ينتهى إلى الأرض، ثم يأخذ فى العروج، فهذا هو المتحصل من الآيات).

قوله سبحانه:

« **ثم استوى على العرش يدبر الأمر** » [1] .

و قوله سبحانه:

« **ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى و لا شفيع أفلا تتذكرون * يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه** » [2] .

و قوله سبحانه:

« **خلق سبع سموات و من الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن** » [3] الآيات.

و قوله سبحانه:

« **ثم استوى إلى السماء** » [4] .

إلى أن قال تعالى:

« **فقضاهن سبع سموات فى يومين و أوحى فى كل سماء أمرها** » [5] .

و هى مع ذلک تفيد أنَّ الأمر فى تنزله ذو مراتب، فإنه سبحانه أخبر عن أنّ التنزل بينهن، فللتنزل نسبة إلى كل واحدة منها؛ لوقوعه من عال إلى سافل حتى ينتهى إلى آخرها فيتجاوزها إلى الأرض، و هو قوله سبحانه:

---

[1] – سورة يونس الآية : ٣.

[2] – سورة السجدة الآيتان : ۴ و ۵.

[3] – سورة الطلاق الآية : ١٢.

[4] – سورة البقره الآية : ٢٩.

[5] – سورة فصلت الآية : ١٢.

« **يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض** » [1] .

و هذه حال الأمر بعد تقديره بالقدر و المقادير و محدوديّته بالحدود و النهايات، كما قال سبحانه:

« **و كان أمر الله قدراً مقدوراً** » [2] .

و هناک وجود أمرى غير محدود و لا مقدر، ينبىء عنه قوله سبحانه:

« **و إن من شيء إلا عندنا خزائنه و ما ننزله إلا بقدر معلوم** » [3]الآية .

حيث أفاد أنَّ لكل شيء منَ الأشياءِ وجوداً مخزوناً عنده سبحانه، و أنّ تنزله إنما هو بقدر معلوم، و الآية حيث تفيد أنّ التنزّل يلازم التقدير بالمقدار أفادت أنَّ الخزائن التى من كلِّ شيء عنده سبحانه وجودات غير محدودة و لا مقدرّة، فهى من عالم الأمر قبل الخلق.

و حيث عبَّر سبحانه بلفظ الجمع المشعر بالكثرة، فلا بدَّ أنْ يكون الامتياز بين أفرادها بشدة الوجود و ضعفه، و هو: المراتب دون الامتياز الفردى بالمشخصات مثل الأفراد من نوع واحد، و إلّا وَقَع الحدُّ و القدر. و قد أنبأ سبحانه أنْ لا قدر قبل التنزل، ففى هذا القسم من الموجود الأمرى غير المحدود أيضاً، مراتبُ واقعة. و ليس التنزُّل عن هناک كيفما كان بالتجافى و تخلية المكان السابق بالنزول إلى اللاحق، لقوله سبحانه:

« **ما عند كم ينفد و ما عند الله باق** » [4]الآية .

و هذه الموجودات غير المحدودة حيث لا حدَّ لها و لا بينها، فهى موجودة جميعاً بوجود واحد على كثرتها، و مشتملة على جمّ الكمالات التى فى عالمها، و لا خبر و لا أثَر هناک عن الإعدام و النواقص التى تفيدها المادة، و الإمكان أو الحدّ و الفقدان.

و لا تزال تتنزل عن مرتبةٍ إلى مرتبة، حتى تشرف على عالم الأجسام، و هى فى جميع مراحلها مشتملةً على جمل الكمالات مبرَّأة عن النواقص. غير أنها فى كل مرتبة، بحسب ما يقتضيه حال المرتبة من قوة الموجود و ضعفه، و لا حجاب و لا غيبوبة، بل أشعة الكلّ واقعة من الكلّ على الكلّ، و منعكسة من الكلّ إلى الكلّ، فهى أنوار طاهرة، و لذلک وصف سبحانه الروح الذى هو من عالم الأمر بالطهارة و القدس، فقال:

« **و أيدناه بروح القدس** » [1] .

---

[1] – سورة السجدة الآية : ۵.

[2] – سورة الأحزاب الآية : ۳۸.

[3] – سورة الحجر الآية : ۲۱.

[4] – سورة النحل الآية : ۹۶.

و قال:

« **قل نزّله روح القدس** » [۲] .

و حكى سبحانه ذلک عن الملائكة فقال سبحانه:

« **و إذ قال ربک للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفک الدماء و نحن نسبّح بحمدک و نقدس لک** » [۳] .

أى نظهر قدسک و طهارتک عن النواقص بذواتنا و أفعالنا، حيث إنّ ذواتنا بأمرک، و أفعال ذواتنا بأمرک كما يومى إلى جميع المرحلتين قوله سبحانه:

« **بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون** » [۴] .

فالآية الثانية فرع للأولى، فهو إكرام ذاتىّ لهم. هذا و ليس فى أعمالهم إلا حيثية الأمر؛ إذ هو المصحّح للثناء عليهم و إكرامهم منه سبحانه، و إلا ففى كلّ فعل من كلّ فاعل أمر منه سبحانه، كما يستفاد من قوله سبحانه:

« **ذلكم الله ربكم خالق كل شىء** » [۵] .

و قوله:

« **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** » [۶] الآيات.

فتخصيصه سبحانه عملهم بالذكر بأنه بأمره سبحانه، ليس إلّا لأنَّ عملهم لا جهة فيه إلّا جهة الأمر، و كذلک ذواتهم، و يشير إليه بآيات أخر، كقوله تعالى:

« **قل كل يعمل على شاكلته** » [۷].

و قوله:

« **كما بدأنا أول خلق نعيده** » [۸] .

---

[۱] – سورة البقرة الآية : ۸۷.

[۲] – سورة النحل الآية : ۱۰۲.

[۳] – سورة البقرة الآية : ۳۰.

[۴] – سورة الأنبياء الآيتان : ۲۶ و ۲۷ .

[۵] – سورة غافر الآية : ۶۲.

[۶] – سورة يس الآية : ۸۲.

[۷] – سورة الإسراء الآية : ۸۴.

[۸] – سورة الأنبياء الآية : ۱۰۴.

و قوله:

« **و البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه و الذى خبث لا يخرج إلا نكداً** » [1] ، إلى غير ذلک من الآيات .

و أيضاً فإن الملائكة، لم تقل: أتجعل فيها من يفسد... الخ، و لم يستفد صدورُ هذه المعاصى إلَّا بالاستفادة من قوله:

« **إنى جاعل فى الأرض خليفة** »

أنَّ الخلافة، و هى قيام الشىء مقام آخر و نيابته عنه، تقتضى اتصاف الخليفة بأوصاف الحق سبحانه، و هى محمودة مقدسة، لا يصح فى قباله دعواهم « **و نحن نسبح بحمدک و نقدس لک** »،

فلم يبق للإستناد إلا الجعل فى الأرض، فمن هنا فهموا أنه سيؤثّر فى أفعاله، و سيتلوّن بكدورة الأرض و ظلمات الطين ذاته، و لذلک عبَّروا عن الخليفة بالموصول و الصلة، فقالوا:

« **من يفسد فيها و يسفک الدماء** »

و هو الإسم، فيكون مقابلته بدعواهم:

« **و نحن نسبح بحمدک و نقدس لک** »

مقابلةً بالإسم، فهم طاهرون مقدسون فى أسمائهم، أى ذواتهم من حيث الوصف، و هو المطلوب، فافهم.

و لنرجعْ إلى ما كنا فيه، و بالجملة: فعالَمُ الأمر عالم القدس و الطهارة، و سمِّى بالأمر لكونه لا يحتاج فى وجوده إلى أزيد من كلمة كنْ. و من هنا ربّما، يعبر سبحانه عنه بالكلمة، كقوله:

« **و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه** » [2].

كما يعبّر عن القضاء المحتوم بالكلمة، كقوله:

« **و كذلک حقت كلمة ربک على الذين كفروا أنهم أصحاب النار** » [3] .

و قال:

« **و لقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنّهم لهم المنصورون * و إنّ جندنا لهم الغالبون** » [4] الآيات .

و القضاء من عالم الأمر عنه، و قد أطلق عليه الأمر كثيراً، كقوله سبحانه:

---

[1] – سورة الأعراف الآية : ۵۸.

[2] – سورة النساء الآية : ۱۷۱.

[3] – سورة غافر الآية : ۶.

[4] – سورة الصافات الآيات : ۱۷۱–۱۷۳.

« **أتى أمر الله** » [1] .

و قوله:

« **و كان أمر الله مفعولاً** » [2] .

و قوله:

« **و الله غالب على أمره** » [3]، إلى غير ذلک.

و قال سبحانه:

« **لا تبديل لكلمات الله** » [4] الآية؛ إذ التبديل فرع قبول التغير الذى هو من لوازم المادة و القوة، و عالم الأمر كما عرفت مبرأ منها.

و قال سبحانه:

« **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى و لو جئنا بمثله مداداً** » [5] .

و قال سبحانه:

« **و لو أنّما فى الأرض من شجرة أقلام و البحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله** » [6] الآية .

فتبين من جميع ذلک أنَّ عالم الأمر مؤلف من عوالم كثيرة مترتبةٍ بعضها، لا تحديد و لا تقدير لموجوداتها، غير أنها معلولة له سبحانه، بل هى موجودات طاهرةٌ نورية متعالية دائمة غير نافذة و لا محدودة، و بعضها يشتمل على موجودات نورية طاهرة غير نافذة لكنها محدودة، و يشتمل الجميع على جميع كمالات هذه النشأة الجسمانية و لذائذها و مزاياها، بنحو أعلى و أشرف، غير مشوب بنواقص المادة و اعدامها و كدوراتها و آلامها، و لا حجاب يحتجب الحق سبحانه به عنها، كل ذلک بحسب وجودهم و مراتب ذواتهم.

ثم إنّ الحق سبحانه بيَّن أنَّ الروحَ من هذا العالم، فقال تعالى:

« **و يسألونک عن الروح قل الروح من أمر ربى و ما أوتيتم من العلم إلاقليلاً** » [7] .

---

[1] – سورة النحل الآية : ١.

[2] – سورة الأحزاب الآية : ٣٧. سورة النساء الآية : ۴٧.

[3] – سورة يوسف الآية : ٢١.

[4] – سورة يونس الآية : ۶۴.

[5] – سورة الكهف الآية : ١٠٩.

[6] – سورة لقمان الآية : ٢٧.

[7] – سورة الإسراء الآية : ٨٥.

و مما مرَّ من البيان تعرف أنّ قوله سبحانه:

« **قل الروح من أمر ربى** » .

يشتمل على بيان الحقيقة، و ليس استنكافاً عن الجواب و البيان. فبيَّن سبحانه أنَّ الروحَ موجود أمرى غير خلقى، كما يومى إليه قوله تعالى:

« **ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارک الله أحسن الخالقين** » [1] .

فظهر بذلک أنه مشارک مع سائر موجودات عالم الأمر، فى شؤونهم و أوصافهم و أطوارهم.

ثم قال سبحانه:

« **فإذا سويته و نفخت فيه من روحى** » [2] ،

فبيَّن أن الروح كان غير البدن، و أنه إنما سكن هذه البنية بالنفخ الربّانى، و هبط إليه من مقامه العلوى. ثم قال سبحانه:

« **كما بدأنا أول خلق نعيده** » [3] ،

فبان بذلک أن هذا الطائر القدسى سيترک هذه البنية المظلمة بجذب ربانى، كما سكنها أولاً بنفخ ربانى، و قد قال سبحانه:

« **ما خلقنا السموات و الأرض و ما بينهما إلا بالحق و أجل مسمّى** » [4] .

ثم قال سبحانه:

« **و قالوا أءِذا ضللنا فى الأرض أءِنا لفى خلق جديد** » [5] ؛

زعماً منهم أنهم هم الأبدان، و هى تتلاشى و تضل فى الأرض، فقال سبحانه و تعالى:

« **بل هم بلقاء ربهم كافرون * قل يتوفاكم ملک الموت الذى وكّل بكم ثم إلى ربكم ترجعون** » [6] الآية .

---

[1] – سورة المؤمنون الآية : ١۴.

[2] – سورة الحجر الآية : ٢٩.

[3] – سورة الأنبياء الآية : ١٠۴.

[4] – سورة الأحقاف الآية : ٣.

[5] – سورة السجدة الآية : ١٠.

[6] – سورة السجدة الآيتان : ١٠ و ١١.

فبيَّن سبحانَه أنَّ الذى يلقى الله تعالى، و يتوفّاه ملک الموت، أى يأخذه و يقبضه، و هو روحُهم، و هو نفسهم المدلول عليها بلفظ «كم»، فما يحكى عنه الإنسان بلفظ «أنّا» هو روحه، و هو الذى يقبضه الله و يأخذه بعد ما نفخه، و هو غيرُ البدن.

ثم قال سبحانه:

« **منها خلقناكم و فيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة أخرى** » [1].

و قال سبحانه:

« **فيها تحيون و فيها تموتون و منها تخرجون** » [2]،

فبيَّن أنّ للروح مع ذلک اتحاداً ما مع البدن، فبهذه الحياة الدنيا فهو هو. و يشير إليه ما فى العلل مسنداً عن عبد الرحمن عن أبى عبدالله (ع)، قال: قلت لأىّ علة إذا خرج الروح من الجسد وجد له مساً، و حيث ركبت لم يعلم به؟ قال : « **لأنه نما عليها البدن** » [3].

و قال سبحانه:

« **ثم سوّاه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة** » [4].

قال سبحانه:

« **قل هو الذى أنشأكم و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة** » [5] الآية .

فبيّن سبحانَه أنه ملک الروح بعد توحيده مع البدن، و اعطائه جوارح البدن و أعضائه قوى سامعةٌ و باصرة، و متفكرة عاقلة، و تمّم له إذ ذاک جميع الأفعال الجسمانية التى ما كان يقدر على شىء منها لو لا هذا الإعطاء و الجعل، و هيّأ سبحانه له جميعَ التصرفات الجسمانية فى عالم الإختيار، و سخَّر له ما فى السموات و الأرض، و سخّر له الشمس و القمر دائبين، و سخّر له الليل و النهار، قال سبحانه :

« **مسخّرات بأمره** » [6].

فالتسخير و التدبير للأمر و بالأمر دون الخلق، و إنما للخلق، و هو مجموع عالم الأجسام الآليّة و الأداتيّة.

---

[1] – سورة طه الآية : ۵۵.

[2] – سورة الأعراف الآية : ۲۵.

[3] – علل الشرائع:۳۵۹/۱، الباب ۲۶۱، الحديث ۱.

[4] – سورة السجدة الآية : ۹.

[5] – سورة الملک الآية : ۲۳.

[6] – سورة الأعراف الآية : ۵۴.

قال تعالى:

« **و آتاكم من كل ما سألتموه و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** » [1] الآية .

فهذا أول الفروق التى يفترق بها الروح عن الملائكة، و هما جميعاً من عالم الأمر، فالروح موجود مجرّد، محلَّى بحلل الكلمات الحقيقية، مُبَرَّأ عن القوة و الإستعداد و المنقصة و العدميات، منزه عن الإحتجاب بحجب الزمان و المكان، سائر فى مراتب الأمر و مدارج النور، و هو مع ذلک يقبل أن ينزل عن عالمه إلى هذا العالم فيتحد بالأجسام و يتصرف فى جميع الأنحاء الجسمية و الجهات الاستعدادية و الإمكانية، بالاتحاد من غير واسطة، بخلاف الملائكة، فإنهم محدودوا الوجود بعالم الأمر، لا يجاوزون أفق المثال.

ثم إنه سبحانه قال:

« **قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون ❋ و الذين كفروا و كذبوا بآياتنا أولئک أصحاب النار و هم فيها خالدون** » [2] الآية .

فبين أنَّ هبوطهم إلى الأرض يوجب انشعاب الطريق إلى شعبتين : شعبة السعادة، و شعبة الشقاوة، و تفرّقهم فريقين: فريق فى الجنة، و فريق فى السعير.

ثم قال سبحانه:

« **ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً و أحلّوا قومهم دار البوار** » [3] .

فبين أنّ طريق الشقاوة فى الحقيقة هلاک و بوار، فهناک منتهى سفرهم من عالم القدس، و أمّا طريق السعادة فهو الحياة الجارية الدائمة.

قال تعالى:

« **أنّ لهم قدم صدق عند ربهم** » [4] .

و قال سبحانه:

« **ما عندكم ينفد و ما عند الله باق** » [5] .

---

[1] – سورة ابراهيم الآية : ۳۴.

[2] – سورة البقرة الآيتان : ۳۸–۳۹.

[3] – سورة إبراهيم الآية : ۲۸.

[4] – سورة يونس الآية : ۲.

[5] – سورة النحل الآية : ۹۶.

و قال سبحانه:

« **و إنّ الدار الآخرة لهی الحیوان** » [1] .

و قد قال تعالی:

« **کما بدأکم تعودون * فریقاً هَدی و فریقاً حق علیهم الضلالة** » [2] ،

فَبَیَّن أن الفریقین یعودان علی ما کانا علیه قبل النزول و الهبوط، و تبیَّن به أنّ أصحابَ الشقاء یعیشونَ و یحیونَ بعد العود عیشاً فی صورة البوار، و حیاة فی صورة الموت. قال سبحانه:

« **ثم لا یموت فیها و لا یحیی** » [3] .

و أنّ أصحاب السعادة یعودون إلی ما کانوا علیه من الحیاة الطیّبة، قال تعالی:

« **فلنحیینه حیاة طیبة** » [4] .

و هم الذین یؤجرون بأعمالهم الناشئة عن ذواتهم السعیدة، و یزیدهم الله من فضله لیجزیهم الله أحسن ما عملوا و یزیدهم من فضله، و الله یرزق من یشاء بغیر حساب. فغایة هذا السیر و السری و الهبوط و النزول من فریق الروح، هلاک بعضهم فی الدنیا و رجوع بعضهم إلی مقامه الشامخ الأول مع مزایا اکتسبها.

قال تعالی:

« **قل الله خالق کل شیء و هو الواحد القهار * أنزل من السماء ماء فسالت أودیة بقدرها فاحتمل السیل زبداً رابیاً و مما یوقدون علیه فی النار ابتغاء حلیة أو متاع زبد مثله کذلک یضرب الله الحق و الباطل فأمّا الزبد فیذهب جفاء و أما ما ینفع الناس فیمکث فی الأرض کذلک یضرب الله الأمثال** » [5] الآیات .

و هذا هو الفرق الثانی بین الروح و الملائکة، فالروح بواسطة نزوله إلی هذه النشأة، و إقامته فیها یقع علی مفترق طریقین، و منشعب خطّین، غایة أحدهما البوار و الهلاک، و غایة الآخر التِمکن فی معارج العلیاء و جنّة الخلد، و مقام القرب و الملائکة، بخلاف ذلک فلیس لهم إلّا خط واحد، و هو خط السعادة.

---

[1] – سورة العنکبوت الآیة : ۶۴.

[2] – سورة الأعراف الآیتان : ۲۹ و ۳۰.

[3] – سورة الأعلی الآیة : ۱۳.

[4] – سورة النحل الآیة : ۹۷.

[5] – سورة الرعد الآیتان : ۱۶ و ۱۷.

[و اعلم أنّا قد فصّلنا القول فی رساة الأفعال فی باب السعادة و الشقاوة، و أنّ (محتد) هذه المعانی و منشعب السعادة و الشقاء قبل نشأة المادة هذه.][1] .

ثم إنه سبحانه قال فی وصف المؤمنین:

« **أولئک کتب فی قلوبهم الإیمان و أیدیهم بروح منه** » [2] .

فعلمنا أنّ هناک روحاً آخر غیر ما یشترک فیه جمیع أفراد الإنسان یختصّ به المؤمنون، و هو المسمَّی بروح الإیمان.

و قال سبحانه:

« **فأنزل الله سکینته علی رسوله و علی المؤمنین و ألزمهم کلمة التقوی** » [3] .

فعبر عنه بکلمة التقوی و بیَّن أنّ هذا الروح یلازم التقوی .

و فی الکافی: مسنداً عن أبی بصیر، عن أبی عبدالله (ع) . قال: « **إنّ للقلب أذنین، فإذا همَّ العبد بذنب، قال له روح الإیمان : لا تفعل . و قال له الشیطان : افعل . وإذا کان علی بطنها ، نزع منه روح الإیمان** » [4] – الحدیث.

ثم قال تعالی:

« **یا أیها الذین آمنوا اتقوا الله و آمنوا برسوله یؤتکم کفلین من رحمته و یجعل لکم نوراً تمشون به** » [5] .

فعبر عنه بالنور و بیَّن دلک فی آیات أُخر.

ثم قال سبحانه:

« **یُلقی الروح من أمره علی من یشآء من عباده لیندر یوم التلاق** » [6] .

و قال سبحانه:

« **و کذلک أوحینا إلیک روحاً من أمرنا ما کنت تدری ما الکتاب و لا الإیمان ولکن جعلناه نوراً نهدی به من نشآء من عبادنا و إنک لتهدی إلی صراط مستقیم** » [1] الآیات .

---

[1] – ما أثبتناه کما هو فی الصبعة الأولی.

[2] – سورة المجادلة الآیة : ۲۲.

[3] – سورة الفتح الایة : ۲۶.

[4] – الکافی: ۱۸۹/۲، باب ۲۹۵ ،الحدیث ۲.

[5] – سورة الحدید الآیة : ۲۸.

[6] – سورة غافر الآیة : ۱۵.

فبيَّن أنَّ هناکَ روحاً آخرَ يختصُّ به الرسل (ع)، و هو نور يهتدى به الغير، كما أنَّ روح الإيمان نورٌ يهتدى به الإنسانُ فى نَفْسه.

و قوله : « **ما كنت تدرى...** » الخ يبيِّنُ أنَّ هذا الروح مهيمن على روح الإيمان، حيث يفيد علم الكتاب و نور الإيمان، فظهر أنَّ اختلاف الروحين انما هو بشدة الوجود و ضعفه، و ليس بالاختلاف الشخصى.

و قوله:

« **و إنک لتهدى إلى صراط مستقيم** » الآية

إشارة إلى أنَّ بينهُ و بينَ الروح الإنسانى، اتحاداً، فالإختلاف بينهما أيْضاً بالشدة و الضعف دون الشخص، فما هناک إلَّا روح واحد.

ثم قال سبحانه:

« **ينزل الملائكة بالروح من أمره** » [٢] .

و قال سبحانه:

« **و هم بأمره يعملون** » [٣] .

فبين بذلک أنّ الروح أرفعُ منزلةً من الملائكة، و أنه يتحد معهم قائماً عليهم، كما يشير إليه قوله سبحانه:

« **قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزّله على قلبک** » [٤] .

و قال سبحانه:

« **نزل به الروح الأمين * على قلبک لتكون من المنذرين** » [٥] .

و قال سبحانه:

« **قل نزّله روح القدس** » [٦] .

فعبَّر سبحانه فى كلامه تارة بالروح، و تارة بجبرئيل (ع)، و هو يعطى الاتحاد الذى ذكرناه، و أنت تعلم أنَّ هذا غير الإتحاد و الحلول المقدس عنه ساحة الوجود.

---

[١] – سورة الشورى الآية : ٥٢.

[٢] – سورة النحل الآية : ٢.

[٣] – سورة الأنبياء الآية : ٢٧.

[٤] – سورة البقرة الآية : ٩٧.

[٥] – سورة الشعراء الآيتان : ١٩٣ و ١٩٤.

[٦] – سورة النحل الآية : ١٠٢.

و فی البصائر: مسنداً عن الحسن بن إبراهیم، عن الصادق (ع)، قال: سألته عن علم المعالم، فقال: « **إنّ فی الأنبیاء و الأوصیاء خمسة أرواح: روح البدن، و روح القدس، و روح القوة، و روح الشهوة، و روح الإیمان. و فی المؤمنین أربعةُ أرواح (إنما فُقِدَ روح القدس): روح البدن، و روح القوة، و روح الشهوة، و روح الإیمان. و فی الکفار ثلاثة أرواح: روح البدن، و روح القوة، و روح الشهوة** » . ثم قال (ع): « **و روح الإیمان یلازم الجسد، ما لم یرتکب کبیرةً، فإذا ارتکب کبیرة فارقهُ الروح. و من سکن فیه روح القدس فإنَّهُ لا یرتکب کبیرة أبداً** » [1] .

و فی تفسیر العیّاشی: عن الصادقینْ (ع) فی قوله تعالی:

« **و یسألونک عن الروح** » [2] الآیة .

« **إنما الروح خلق من خلقه، له بصر و قوة، و تأیید یجعله فی قلوب المؤمنین و الرسل** » [3] الحدیث. و فیه إشعار ما باتحاد الروحَینْ.

و یؤیده ما رواه العیّاشی –أیضاً– فی الآیة عن أحدهما (ع)، سئل عن الروح،

قال: « **التی فی الدواب و النا س** » .

قیل: و ما هی ؟

قال: « **هی من الملکوت من القدرة** » [4] .

و فی تفسیر القمّی: عن الصادق(ع): أنّه سئل عن هذه الآیة، فقال: « **خَلْقٌ أعظم من جبرائیل و میکائیل کان مع رسول الله (ص)، و هو مع الأئمة، هو من الملکوت** » [5].

و فی تفسیر العیاشی: عنه (ع)، أنه سئل عنها، فقال: « **خلقٌ عظیم أعظم من جبرائیل و میکائیل لم یکن مع أحد ممن مضی غیر محمد (ص) و مع الأئمة، یسدّدهم و لیس کلّما طلب وجده** » [6] الحدیث.

و یستشم منه أنّ الروح المؤید به الرسل (ع) أیضاً ذو مراتب.

---

[1] – بصائر الدرجات: ۴۶۷/۹، الحدیث ۳.

[2] – سورة الإسراء: الآیة ۸۵.

[3] – تفسیر العیّاشی: ۳۳۹/۲، الحدیث ۱۶۰، وقد ورد فی تفسیر العیّاشی: «قلوب الرّسل و المؤمنین » بدل « قلوب المؤمنین و الرّسل » .

[4] – تفسیر العیّاشی: ۳۳۹/۲، الحدیث ۱۶۳.

[5] – تفسیر القمی: ۲۵/۲.

[6] – تفسیر العیّاشی : ۳۳۹/۲، الحدیث ۱۶۱.

و فی تفسیر القمّی عن الصادق (ع): « **أنّ الروح أعظم من جبرائیل، و أنّ جبرائیل أعظم من الملائکة، و أن الروح هو خلق أیضا من الملائکة. أ لیس یقول الله تبارک و تعالی:**

« **تنزل الملائکة و الروح**»[1] » [2].

و فی تفسیر القمّی عن الصادق (ع)، و فی الکافی: عن الکاظم (ع): « **نحن و الله المأذونون لهم یوم القیامة، و القائلون صواباً** » .

قیل : ما تقولون إذا تکلمتم ؟

قالا : « **نمجّد ربنا، و نصلّی علی نبیّنا، و نشفع لشیعتنا، و لا یردّنا ربّنا** » [3] الحدیث.

یشیران (ع) إلی قوله تعالی:

« **یوم یقوم الروح و الملائکة صفّاً لا یتکلمون إلا من أذن له الرحمن و قال صواباً** » [4] .

و فیه من الإشارة إلی توحید الأرواح ما لا یخفی.

و هذا هو الفرق الثالث بین الملائکة و الروح، فالروح من الأمر و هو أرفع درجة من الملائکة و مهیمن علیهم، و الله أعلم.

و قوله تعالی:

« **ولکن جعلناه نوراً نهدی به من نشآء من عبادنا** »[5] الآیة.

مع کون الملائکة قائمةً بالروحِ، و متحدة ذاتاً و فعلاً به کما مرّ، یعطی أنهم أنوار الهیّة، و حینئذٍ فیتّضح اتّضاحاً ما قاله تعالی:

« **الله ولی الذین آمنوا یخرجهم من الظلمات إلی النور** » [6] الآیة .

و قوله سبحانه:

« **لهم أجرهم و نورهم** » [7] الآیة .

---

[1] – سورة القدر الآیة : ۴.

[2] – تفسیر القمّی : ۳۷۰/۲.

[3] – الکافی: ۴۹۳/۱، الباب ۱۶۴، الحدیث ۹۱.

[4] – سورة النبأ الآیة : ۳۸.

[5] – سوریالشوری الآیة ۵۲.

[6] – سورة البقرة الآیة : ۲۵۷.

[7] – سورة الحدید الآیة : ۱۹.

و قوله سبحانه:

« مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دريٌّ » .

إلى أن قال:

« نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء » [1] .

و لنقتصر على هذا المقدار من الكلام، و الله الهادى.

خاتمة

تناسب ما مرّ من الكلام

قال سبحانه:

« و إذ قال ربک للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفک الدماء و نحن نسبح بحمدک و نقدس لک قال إنى أعلم ما لا تعلمون ❊ و علّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ❊ قالوا سبحانک لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنک أنت

[1] – سورة النور الآية : ٣٥.

العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلمّا أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات و الأرض و أعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون » [1].

قوله سبحانه:

« **قالوا اتجعل فيها** » الآية .

ظاهر فى أنّهم قايَسوا خلافةَ خليفةِ الأرض على خلافتهم السماويّة، و ذَكَروا أنّ الخِلافَة السماويّةَ خلافةٌ تامَّةٌ تُظْهِرُ تنزُّهَ الحقِ سبحانه و قدسه، بخلاف خلافة الأرض، فإنّ فيها ظهورَالفسادِ و سفكَ الدماء، و بالجملة السيئات التى أخبر الحقّ سبحانه فى كتابه بأنها ليست منه، و ذلک يوجب تَغَيراً فى حقيقة الخلافة، و عدم بقائه على قدسه، حتى يحكى كمال الحق بما يليق بقدس ذاته سبحانه، و ذلک كان كالإستفسار منهم لكيفية هذه الخلافة مع هذه النواقص، دون الإعتراض عليه و تخطئته سبحانه.

و الدليل على ذلک قولهم:

« **إنک أنت العليم الحكيم** » الآية .

و قوله تعالى:

« **قال إنى أعلم ما لا تعلمون** » الآية .

بيان لنقص خلافتهم؛ بأنّ اسم العلَم لم يظهر فيهم تمام الظهور، و ليس من قبيل الإسكات كما يقوله أحدنا لمن ينكر شيئاً من أمره إنى أعلم ما لا تعلم.

و يشرح ذلک قوله سبحانه:

« **و علّم آدم الأسماءَ كلَّها ثم عرضهم** » الآية .

يظهر من السياق أنّ هذه الأسماء كلها، موجودات حيّة عالمة عاقلة، و أنها عينُ الأسماء التى علمها سبحانه آدم (ع)،

كما أن الإسمَ عينُ المسمَّى، و أن الذى علمه هو جميع الأسماء، و هى حيّة عالمة، فالمراد بالأسماء غيرُ الألفاظ قطعاً، بل الذوات من حيث اتّصافها بصفات الكمال، و هى ظهوراتها التى يتفرّع على ذواتها، يدل عليه قوله:

« **أنبئونى بأسماء هؤلاء** » ، و قوله :

« **فلما أنبأهم بأسمائهم** » الآية .

---

[1] – سورة البقرة الآيات : ۳۰–۳۳

و حينئذ فينطبق على قوله سبحانه:

« **و إن من شيء إلا عندنا خزائنه و ما ننزّله إلا بقدر معلوم** »[1] .

فهذه الأسماء هى خزائن الغيب غير المحدودة و غير المقدَّرة، و فيها كلُّ شيء.

و يظهر من هنا أن هؤلاء الملائكة المخاطبين، إنما كانوا هم الذين لا يرقى وجودهم عن عالم التقدير و الحدود، و يشير إليه قوله تعالى:

« **إنى أعلم ما لا تعلمون** ... » الخ .

و قوله:

« **إنى أعلم غيب السموات و الأرض** » [2] الآية .

و بهذا يتّضح ما فى بعض الأخبار أنَّ للّه ملائكة لم يشعروا أنَّ الله خَلَق عالماً و لا آدم.

و ما فى أخبار أُخَر: أنّ الملائكة لمّا عرفوا خطأهم فى قولهم لاذوا بالعرش[3]، ثم قال سبحانه فى موضع آخر من كتابه:

« **و عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** » [4] .

و المفاتح هو الخزائن أو مفاتيحها، فعلم آدم إنما هو علمه سبحانه المحجوب عن الملائكة، و هذا لا يتحقّق بغير الولاية كما حقّق فى محله، فالذى صنعه سبحانه هو أنه وضع فى جبلة آدم الولايةَ و التخلق بجميع الأسماء، و الصفات فى جميع الأسماء، و قد حجب عنه الملائكة و لم يصيروا بعد إنباء آدم إياهم الأسماء مثل آدم، و إلّا لم يصحّ الجواب الذى أجاب به سبحانه عنهم، و هو واضح.

ثم اعلَمْ أنَّه سبحانه لم يذكر قصة هذه المخاطبة فى كتابه، فى أكثر من موضع واحد من سورة البقرة، بل هذا التفصيل بنحو قوله سبحانه:

« **إذ قال ربک للملائكة إنى خالق بشراً من طين * فإذا سويته و نفخت فيه من روحى** » [5] الآية .

---

[1] – سورة الحجر الآية : ٢١.

[2] – و الشاهد على ذلک أنه سبحانه كرّر قوله: « **إنى أعلم ما لا تعلمون** » بتبديله، بقوله : « **إنى أعلم غيب السموات و الأرض** » الآية، فللسموات و الأرض غيبٌ كما أنّ لهما شهادة، و الأسماء التى علمها سبحانه آدم (ع) هى غيبهما، فافهم .

[3] – تفسير القمّى : ٦٦/١

[4] – سورة الأنعام الآية : ٥٩.

[5] – سورة ص الآيتان : ٧١ و ٧٢.

فيظهر أن قوله:

« **و نفخت فيه من روحى** » الآية .

يشتمل على إجمال ما يفصله قوله سبحانه:

« **و علّم آدم الأسماء...** » الخ .

و يظهر منه حقيقة هذا الروح الذى نفخه سبحانه، و وجه تخصيصه بنفسه بقوله:

« **من روحى** » الآية .

و لم يرد فى القرآن إضافة الروح إليه سبحانه إلَّا فى قصة آدم، و الباقى على غير هذا النحو من الإضافة كقوله سبحانه:

« **فأرسلنا إليها روحنا** » [1] .

و قوله:

« **نزل به الروح الأمين** » [2] .

و قوله:

« **و أيّدناه بروح القدس** » [3] الآيات .

و قوله سبحانه:

« **و أعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون ...** » الخ .

يشعر بأنه كان هناكَ أمرٌ ما مكتوم، و قوله سبحانه بعد ذلک:

« **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى و استكبر و كان من الكافرين** » [4] الآية .

حيثُ عبَّر بقوله :

« **و كان من ...** » الخ .

كالبيان لهذا الأمر المكتوم، و لذا ورد فى الروايات كما فى تفسير القمّى و غيره، أن المراد مما كانوا يكتمون ما كان يضمره إبليس من عدم السجدة لآدم (ع).

---

[1] – سورة مريم الآية : ١٧.

[2] – سورة الشعراء الآية : ١٩٣.

[3] – سورة البقرة الآيات : ٧٨ و ٢٥٣.

[4] – سورة البقرة الآية : ٣٤.

و قد بيّنا فی رسالة الوسائط أن هذه النشأة المتقدمة علی الدنيا لا تتمايز فيها السعادة و الشقاوة، و إنما موطنُ التمايز و مبدؤه الدنيا، و لذلک فحال إبليس هناک حال سائر الملائکة، و قد شمله الخطاب بالسجود کما يفيده الاستثناء، ثم تميَّز إبليس من الملائکة، و صار رجيماً، و يستشعر ذلک من قوله سبحانه:

« **و قلنا يا آدم اسکن أنت و زوجک الجنة و کلا منها رغداً حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة فتکونا من الظالمين ❊ فأزلّهما الشيطان عنها فأخرجهما مما کانا فيه و قلنا اهبطوا بعضکم لبعض عدوّ و لکم فی الأرض مستقرّ و متاع إلی حين ❊ فتلقّی آدم من ربه کلمات فتاب عليه إنه هو التوّاب الرحيم ❊ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينّکم منی هدی فمن تبع هدای فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون ❊ و الذين کفروا و کذبوا بآياتنا أولئک أصحاب النار هم فيها خالدون** » [1] الآيات .

فقوله:

« **قلنا اهبطوا منها** » الخ .

و قال سبحانه فی موضع آخر:

« **قلنا اهبطا** »[2] الخ .

و فی رواية القمّی عن الصادق (ع): « **و لم يدخلها ابليس** »[3] – الحديث.

و قال سبحانه – بعد حکاية إبائه عن السجدة – :

« **قال اخرج منها فإنک رجيم** » [4] الآية .

يوجب إشکالاً فی کيفية وسوسته (لعنه الله) فی الجنة، و هو ممنوع من وروده و وسوسته لآدم، و هو معصوم، و ينحلّ الإشکال بما ذکرناه من عدم تميّز السعادة و الشقاوة قبل الهبوط.

و يظهر منه أن عصيان آدم لم يکن بالعصيان المنافی لعصمته (ع)، و إنما هو عصيان جبلی ذاتی، و هو اختياره الهبوط إلی الدنيا، و هو ترک عالم النور و الطهارة و اختيار الظلمة و الکدورة، و إليه يلمح قوله سبحانه:

« **فتکونا من الظالمين** » .

---

[1] – سورة البقرة الآيات : ۳۵–۳۹.

[2] – سورة طه : الآية ۱۲۳.

[3] – تفسير القمی : ۷/۱.

[4] – سورة الحجر الآية : ۳۴.

و هذا معنى قوله سبحانه:

« **و عصى آدم ربه فغوى** » [1] الآية .

و الدليل على قوله سبحانه بعده:

« **ثم اجتباه ربه فتاب عليه و هدى** » [2] الآية .

و قد قال سبحانه:

« **والله لا يهدى القوم الظالمين** » [3] .

و لو كانت معصيته (ع) معصيةَ فسق لكانت جنته دار اختيار، فكانت من دار المادة و الظلمة، فكانت فى الأرض دون السماء.

و قوله سبحانه:

« **قلنا اهبطوا منها** » .

إلى قوله:

« **و لكم فى الأرض مستقرّ و متاع إلى حين** » الخ .

سياق الكلام يعطى أنّ الهبوط إنما كان من غير الأرض، و هو السماء إلى الأرض، و هو ظاهر قوله فى موضع آخر:

« **فيها تحيون و فيها تموتون و منها تُخرجون** » [4] الآية .

و يدل عليه قول علىّ (ع) فى احتجاجه على الشامى حين سأله عن أكرم وادٍ على وجه الأرض، فقال (ع) له : « **وادٍ يقال له سرانديب سقط فيه آدم من السماء** » [5].

و فى النهج فى خطبة له (ع) يصف فيها قصة آدم (ع): « **ثم بسط الله سبحانه له فى توبته، و لَقَّاه كلمة رحمته، و وعده المردّ إلى جنته، و أهبطَهُ إلى دار البليّة، و تناسل الذُرِّيَة** » [6] .

يشير (ع) بقوله:

---

[1] – سورة طه الآية : ١٢١.

[2] – سورة طه الآية : ١٢٢.

[3] – سورة البقرة الآية : ٢٥٨.

[4] – سورة الأعراف الآية : ٢٥.

[5] – عمل الشرائع : ٣٢٠/٢، الباب ٣٨٥، الحديث٤٤

[6] – نهج البلاغة:٤٣، فى خطبة له (ع) يصف فيها خلق آدم.

« **و وعده ...** » الخ.

إلى قوله سبحانه:

« **فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع ...** » الخ، و قوله:

« **ثم اجتباه ربه فتاب عليه و هدى** » الآية .

و من الممكن أن يكون قوله سبحانه:

« **قلنا اهبطوا منها جميعاً ...** » الخ.

تلميحاً إلى أنّ ذرية آدم مشاركون مع أبيهم فى الخروج من الجنة بعد دخولها.

و يؤيد ذلک بقوله تعالى:

« **فإما يأتينّكم منى ...** » الخ .

فإنّ إبليس يائس من رحمتهِ و قد قال فيه:

« **قال فالحق و الحق أقول * لأملأنّ جهنم منک و ممن تبعک منهم أجمعين** » [1] الآية .

فلا يبقى للخطاب إلّا آدمُ و زوجتُه، و الخطاب لهم إنما هو بالتثنيةِ دون الجمع.

و ما فى بعض الروايات أنّ فى الهابطين حيةً، كان إبليسُ ألقى وسوستَهُ إليهما فى الجنّة بواسطتهما[2]، لا يصحّح الخطاب بالجمع، فإنّ الحيّة و هى غيرُ مكلفة بتكليفِ آدم و زوجتِه، خارجةٌ عن الخطاب قطعاً، فليس إلا أنَّ الحكمَ لآدم و زوجتِه و ذريتهما، و قد قال سبحانه فى موضع من كتابه:

« **و لقد خلقناكم ثم صوّرناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** » [3]الآية .

و كيف كان، فظاهر سياق الآيات أنّ دخولهما الجنة كان بعد تسويتهما، و النفخ و السجود، و هو المتحصل بل الصريح من الروايات.

و مما فى بعض الروايات، و هى: روايتان أو ثلاث: أنه سبحانه نفخ فى خلق آدم يوم الجمعة، و أدخله الجنة بعد الظهر، من يومه ذلک و ما لبث فى الجنة إلّا ستّ ساعات من النهار أو سبعاً حتى خرج منها [4].

---

[1] – سورة ص الآيتان : ۸۴ و ۸۵ .

[2] – البرهان فى تفسير القرآن:۱۷۹/۱، الحديث ۱.

[3] – سورة الأعراف الآية : ۱۱.

[4] – بحار الأنوار: ۱۸۸/۱۱، الباب ۳، الحديث۴۵.

و يظهر من الجميع أنّ ذلک كان حالاً برزخياً له و لزوجته، و تمثل لهما الشجرة المنهية فيها، فأكلا منها و ظلما أنفسهما، و كان ذلک منهما هبوطاً إلى الأرض و حياة فيها و ظهور سوآتهما.

و ورد فى الخبر أنها كانت شجرة الحنطة و السنبلة، و ورد أيضاً أنها كانت تحمل جميع الأثمار كسائر أشجار الجنة، و ورد أنها كانت شجرة علم محمد و آله و ولايتهم[1].

و هذه التعبيرات جميعها مستقيمة واضحة عند الممارس المستأنس بالتعبيرات المتشابهة التى وردت فى الشرع.

و على أى حال، كانت شجرة، كان أصلها يستوجب الهبوط إلى الدنيا، و حيث أن الغايةَ فيها هى التحقُّق بعلم الأسماء كلها، كما يتبين من سابق الآيات، و هى الولاية، فلذلک عبَّر عنها تارة بشجرة الحنطة، و تارة بشجرة تحمل كل ثمرة، و تارة بشجرةِ علم محمد و آله.

و يمكن أن تكون شجرة الحنطة و الانسان يعيش بها، فيؤول إلى تمثل الحياة الدنيا له (ع). و يؤيده قضية ظهور السوآت و بدوها، و ورى عنهما، و الله العالم.

و يمكن أن يكون إلى ما مرّت الإشارة، بقوله سبحانه:

« **إنا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً** »[2] الآية .

فقوله سبحانه:

« **إنه كان ظلوماً** ... » الخ .

يحكى عن ظلم سابق، و جهالة سابقة، فموطن هذا العرض إن كان هو الوجود الدنيوى، فالظلم فى نشأة سابقةٍ و الأمانة هى التكليف كما يفسّره به بعض الروايات، و إن كانَ قبل الوجود الدنيوى، فالظلم قبلها بطريق أولى، و الأمانةُ هى الولاية كما يفسره بعض آخر من الروايات، و كلاهما صحيحان؛ فإن الدنيا جاريةٌ على ما جرى عليه الأمرُ قبلَها من سعادة و شقاوة.

و قوله سبحانه بعده:

« **ليعذّب الله المنافقين و المنافقات و المشركين والمشركات و يتوب الله على المؤمنين و المؤمنات و كان الله غفوراً رحيماً** »[1] الآية،

---

[1] – بحار الأنوار: ۱۶۴/۱۱، الباب ۳، الحديث۹.

[2] – سورة الأحزاب الآية : ۷۲.

بيان لغاية عرض الأمانة.

و قد قسَّم الإنسان قسمين: مؤمنٌ و منافق إشعاراً بأنَّ الكل حاملون، فمنهم من حمله ظاهراًو باطناً، و منهم من حمله ظاهراً لا باطناً، و معلوم أن ظاهرَ تلک النشأة باطن فی هذه النشأة و بالعکس، فالکافر فی هذه النشأة کافر فی ظاهره، لکنّه معترف بجبلته و فطرته فطرة الله التی فطر الناس علیها، لا تبدیل لخلق الله، ذلک الدین القیِّم.

و بالجملة فتنطبق (الآیتان) علی قضیة أخذ المیثاق، و قد شرحناها بعض الشرح فی رسالة الأفعال، و هی الرسالة الثالثة من کتاب التوحید.

تمّ الکلام ولله الحمد، و علی رسوله و آله الصلاة و السلام، لیلة الأحد لعشرین خلون من شهر صفر الخیر، و هی لیلة الأربعین المقدسة من سنة واحد و ستّین و ثلثمأة و ألف قمریّة من الهجرة، و وقعت الکتابة فی قریة شاد آباد من أعمال بلدة تبریز.

---

[1] – سورة الأحزاب الآیة : ۷۳.

رسالة الإنسان فی الدنیا

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله رب العالمین، و الصلاة و السلام علی أولیائه المقربین، سیما محمد و آله الطاهرین.

هذه رسالة الإنسان فی الدنیا، نضع فیه إجمال القول فی ما یصیر إلیه حال الإنسان فی وروده فی دار الحیاة الدنیا بعد ما کان علیه قبل الدنیا، مما عرفنا ملخَّصَهُ فی رسالة الإنسان قبل الدنیا، و الله سبحانه هو المستعان.

الفصل الأول

صور علومنا الذهنیة

اعلم أنّ المعانی التی عندنا، و هی صور علومنا الذهنیة، علی قسمین:

أحدهما: المعانی التی تقع علی الموجودات الخارجیة فی نفسها مطابقة بها و معها، بحیث أنها فی نفسها کذلک، سواء انتزعنا منها تلک المعانی و تعقّلناها و أوقعنا علیها هذه المعانی أولاً؛ و ذلک کمعنی الأرض و

السماء و الكواكب و الإنسان، فإنّ مطابقات هذه المعانى موجودٌ فى الخارج فى نفسها، سواءً انتزعنا منها هذه المعانى و تعقّلناها فى أذهاننا و أوقعنا المعانى المنتزعة عليها أو لا، و هذه المعانى هى التى نسمّيها بالحقائق.

و ثانيهما: المعانى التى نوقعها على الأمور الخارجية لكنها بحيث لو أغمضنا و قطعنا النظر عن التعقل و التصور لم يكن لها فى الخارج تحقق، و لا لها وقوع، و ذلک كمعنى الملک –مثلاً– فإنَّه معنى به يتمكّن المالک من أنحاء التصرفات فى العين المملوک من غير أن يزاحمه فيها أحد من نوعه، و كمعنى الرئاسة، فإنها معنى بها يتمكّن الإنسان الرئيس من إدارة الأمور فى حوزة رئاسته و جلب طاعة مرؤوسيه. لكنّنا إذا تأملنا فى مورد هذين المعنيين لم نجد هناک فى الخارج إلا إنساناً و عيناً خارجية –مثلاً– و لم يكن لولا تعقّلنا و تصورنا فى الخارج عين و لا أثر من معنى الملک و المالک، و المملوک و الرئاسة، و الرئيس و المرؤوس، و لذلک نرى فى هذا القسم من المعانى من التغيّر و التبدل و الاختلاف بحسب اختلاف أنظار العقلاء، ما لا يتحقق ذلک فى قسم الحقائق البتة، فترى أمة من الناس تعقد على ملكيّة شىء لا يعقد عليها آخرون، و يذعن برئاسة إنسان لايذعن بها فيه آخرون. و الحقائق لا يمكن فيها ذلک، فالانسانُ إنسان عند الكلّ و دائماً، و سواءً تعقّلوا معنى أنه إنسان أو لم يتعقلوا ذلک.

و هذه المعانى غير الحقائق، حيث أنها ليست فى الخارج حقيقة فى الذهن، لكنها ليست متحققة فى الذهن بإيجاده و اختلافه إياها من غير استعانة بالخارج، فإنّ الذهن يوقعها على الخارج بتوهّمها أنها فى الخارج و وقوعها على الأمور الخارجية على وتيرة واحدة من غير اختلاف و تغيّر من هذه الحيثية، فالكلام و هو الصوت المؤلَّف الدال على معنى بالوضع كلام، و لا يصدق عليه الملک –مثلاً– و لا الرئاسة و لا غيرها، و لو كانت بإيجاد من الذهن من غير ارتباط و استعانة من الخارج لكانت إمَّا غير صادقة على الخارج أصلاً، و إمَّا واقعة على جميع ما فى الخارج لاستواء النسبة مع عدم الرابطة.

فثبت أن انتزاع الذهن إياها إنما هو بالاستعانة من الخارج، أى من المعانى الحقيقية التى عند الذهن، و حيث أن هذا الارتباط ليس بالحقيقى لعدم تحققها فى الخارج، فهو و همىّ بتوهم الذهن أنها هى المعانى الحقيقية، و هى إعطاء حد الأمور الخارجية لها. فهذه المعانى تتحقق بإعطاء الذهن حد الأمور الحقيقية لما ليس لها، و وضعها فيما ليست فيه، فهى معان سرابيّة و هميّة مثلها بين المعانى مثل السراب بين الحقائق و الأعيان. و هذا القسم من المعانى هو الذى نسمِّيه بالاعتبارات و الوهميات؛ فالأولى منها: خارجية حقيقة، و الثانية ذهنية وهميّة غير حقيقية.

ثم إنا إذا أخذنا نتأمل الموجودات الخارجية الحقيقية، و ركّزنا التأمل فى كلّ واحد منها بالأخذ بمجموع دائرة وجوده من حين يظهر فى الوجود، ثم يديم بقاءه و حياته المختصّة به حتى ينتهى إلى البطلان و العدم، و رددنا كل أمر يرتبط به من حيث هو مرتبط إلى داخل محيط هذه الدائرة المفروضة،بحيث لا يشذُّ منه شيءٌ منها، و لا يدخله شيء غيرها، وجدنا هذا المجموع يساوى فى الوجود أمراً واحداً حقيقياً و موجوداً متفرّداً، كل جزء من أجزاء المجموع المفروض يرتبط بالآخرين بروابط خاصّة به وصولاً للوحدة الحقيقية الموجودة، و هذا لا شك فيها و لا ريب.

ثم إذا حلَّلنا هذا الموجود الواحد على سعة دائرة وجوده، وجدناه على كثرة أجزائه و جهاته ينحلُّ إلى أمر ثابت فى نفسه كالأصل، و أمور أُخَرَ تدورُ عليه و تقوم به كالفروع تتفرّع على الأصل، و هذا الأصل هو الذى نسمّيه بالذات، و هذه الفروع هى التى نُسمِّيها بالعوارض و اللواحق و نحو ذلک، و هذا معنى سارٍ فى كل موجود فى وعاء الوجود، مثال ذلک الإنسان، فإن فيک أمراً تحكى عنه بلفظ أنا وكلّ معنى غيره مرتبط به و متفرع على هذه الذات المحكىّ عنها بـ« أنا ». و هذا المجموع المؤلَّف من الذات و العوارض نسمِّيه بالنظام الجزئى فى الموجود الجزئى و المجموع المؤلَّف من جميع هذه النظامات الجزئيّة التى فى ظرف الوجود نسميه بنظام الكلّ.

ثم نقول: إنَّ لكلّ موجود حقيقى نظاماً حقيقياً خارجياً ذا أجزاء حقيقية، فذاته من حين يظهر فى الوجود يصحب معه شيئاً من عوارضه اللازمة و غير اللازمة، ثم يرد عليه سلسلة عوارضه واحداً بعد واحد، و لا يزال يستكمل بها حتى يتمّ ذاته فى عوارضه تماماً و كمالاً إن لم يعقه عائق، فينتهى به الوجود المختص به و هو حياته، فيبطل و ينعدم ببلوغه أجله، فهو بحسب التمثيل كالشمس عند الحسّ تطلع من أفقٍ ثُمَّ تحاذى نقطة و تجرى حتى تغرب فى أفُق آخر.

و جملة الأمر فى هذه النظامات أن لحوق العوارض بالذات باقتضاء ما من الذات لها، بمعنى أنَّ الذات لو وضع وحده من غير مانع تبعه عوارضه بارتباط معها فى الذات، و هذه كلها أصول كلّيّة عامة بديهية أو قريبة من البداهة.

ثم إن هذا الاقتضاء من الذات لعوارضه مقرونة فى الإنسان بالعلم، فهذا النوع يميّز الملائم عن غير الملائم بالعلم و الإدراک، ثم يحرّک و ينحو الملائم، و يهرب عن المنافر المنافى، و بعض الأنواع الأُخَر من الحيوان أيضاً، حاله حال الإنسان، و لسنا نعلم هلْ حالُ كلِّ نوع من الموجودات الجسمانية حالُ الإنسان لعدم وفاء الحسّ و التجارب، و إنْ قام بعض البراهين فى العلم الإلهى على أنّ العلم سار فى جميع الموجودات.

و بالجملة حيث كان تميّز الملائم عن غيره بالعلم و الذات مقتضٍ للملائم، و متأبٍّ عن غير الملائم، و الحركة إلى الملائم عن إرادة و علم، و الحركة عن غير الملائم عن إرادة و علم، تحقق هناک بالضرورة بالنسبة إلى الملائم صورةٌ علميةٌ ذهنية مخصوصة. و بالنسبة إلى غير الملائم صورةٌ أخرى مخصوصة، و هما صورة اقتضاء الذات لأمر و صورة تأبّاها عن أمر، فللاقتضاء صورة و هى وجوب الفعل فى قولنا: يجب أن يفعل كذا انتزعتها النفس عن نسبة الضرورة فى القضايا الحقيقية الخارجية، و لعدم الاقتضاء صورة، و هى حرمة الفعل أو وجوب عدمها فى قولنا يحرم أو يجب أن لا يفعل كذا، انتزعتها النفس عن نسبة الامتناع فى القضايا الحقيقية الخارجية، و للمقتضى بالبناء للمفعول صورة، و لعدم المقتضى المتأبّى عنه بالبناء للمفعول صورة أخرى، و الظاهر أنَّ النفس تنتزعها فيهما من نسبة بعض أجزاء الشخص بالنسبة إليه، أو شخصه بالنسبة إلى شخصه. و من نسبة عدم شخصه أو عدم بعض أجزاء شخصه بالنسبة إلى شخصه، و هذا هو الذى يوجب الحركة إليه أو الهرب منه.

و هذا المقدار من الاعتبار كالمادة الأولى بالنسبة إلى الاعتبارات التالية قاطبة، و يسرى هذا الحكم و يتكثّر أقسام الاعتبار، و يختلف بتكثر حوائج الإنسان و استقباله النواقص التى تصادف ذاته، و يمكنک التحقق بما ذكرنا و اختبار الحال فى ذلک بالتدبّر فى حال الطفل الإنسانى و تدرّجه فى الحياة، و كذلک باختيار حال بعض الحيوان مما فى نوعه الإجتماع محدود ساذج، و التميز فى أوهامه سهل يسير.

ثم إن الإنسان الفرد لا يتمّ له وحده جميع كمالاته الملائمة لذاته؛ لكونه فى جميع جهات ذاته محتاجاً إلى التكامل. و تفنّن احتياجاته الحيويّة مع احتفاف كل واحد من كمالاته بما لا يحصى من الآفات، و لذلک فهو بالفطرة مضطرّ إلى الاجتماع و التعاون و التمدّن مع أمثاله و الحياة فيهم، حتى يقوم كل فرد بجهة أو جهات معدودة من خصوصيات كمالاتهم بما يسعه طاقته، و يعيشوا بنحو الاشتراک، و هاهنا وقعت الحاجة إلى التفهيم و التفهّم، فابتدأ ذلک بالإشارة، ثم كمل بالصوت، ثم تُمِّمَ ذلک بتمييز الأصوات المختلفة للمقاصد المختلفة.

و الدليل عليه ما نشاهده فى الحيوانات العُجم، فإن فيها دلالة على المقاصد بالأصوات و تعدادها كثرة و قلّة بالنسبة إلى اجتماعاتها كصوت الزّاغ، و صوت الفساد، و صوت التربية و صوت الإشفاق و غير ذلک مما بينها، و هذا الأمر يكتمل ثم يكتمل حتى يصير اللفظ وجوداً لفظياً للمعنى لا يُلتفت عند استماعه إلّا إلى المعنى، و يسرى الحسن و القبح من أحدهما إلى الآخر.

ثم إنّ اشتراک المساعی فی الحیاة و اختصاص کل فرد بما یُهیِّئه یوجب اعتبار الملک فی المختصات، و أصله الاختصاص،و کذا اعتبار الزوجیة، و احتیاج الکلّ إلی ما فی أیدی الآخرین، یوجب اعتبار التبدیل فی الملک و المعاملات المتنوعة من البیع و الشراء و الإجارة و غیرها، و حفظ النسبة بین الأشیاء القابلة للتبدیل من حیث القلّة و الکثرة و الابتذال و العزة، و غیر ذلک یوجب اعتبار الفلوس و الدراهم، و هو شیء یحتفظ به نسبة الأشیاء القابلة للتبدیل بعضها مع بعض.

ثم إن هذه التقلّبات غیر المحصورة لا تخلو من وقائع جزئیة معتدلة و أخری یقع فیها الظلم و التعدّی و الإجحاف، فالأفراد فی أخلاقها مختلفة، و الطبائع إلی التعدّی و تخصیص المنافع بنفسها و مزاحمة غیرها مجبولة، و حینئذاک وقع الاحتیاج إلی قوانین یحفظ بها الاعتدال فی الاجتماع، و إلی من یحفظ هذه القوانین، و إلی من یعتضد به، فینشعب إذ ذاک اعتبار الرئاسة و الرئیس و المرؤوس و القانون و غیر ذلک.

و یتفرع علی ذلک اعتبارات أُخَر، و لا یزال یتبع بعضها بعضاً حتی ینتهی إلی غایات یعیدة طوینا الکلام عن شرحها لعدم وفاء المقام بذلک.

و بالجملة، فهذه الاعتبارات لا تزال تتکثّر بکثرة مسیس الحاجة حتی تنفذ و تسری فی جمیع جزئیات الأمور المربوطة بالإنسان الاجتماعی و کلیاتها، و یتلوّن الجمیع بهذه الألوان الوهمیّة، و تتلبس بهذه الملابس الخیالیّة، بحیث أن الإنسان الذی یتقلب بینها بواسطة الإدراک، و یقصدها و یترکها، و یحبّها و یکرهها، و یرغب فیها، و ینفر عنها، و یرجوها و یخاف منها، و یشتاقها و یعافها، و یلتذُّ بها، و یتألّم منها، و یختارها و یترکها بالحسن و القبح، و الوجوب و الحرمة، و النفع و الضرّ، و الخیر و الشرّ، بواسطة العلم و الإرادة لا یشهد منها إلّا هذه المعانی السرابیة، و لا یحسّ منها إلّا بهذه الوجوه. فحیاة الإنسان، و هی حیاة اجتماعیة مربوطة بهذه الأسباب، محدودة بهذه الجهات، متقلّبة فی هذه العرصات، لو وقعت حیناً ما فی خارجها کالحیتان خارج المیاه، بطلت و خمدت.

و أنت إذا أجلت النظر و أدرت الفکر فی بعض الموجودات و نظامها الطبیعی، کالمرکبات النباتیة مثلاً، رأیت استمرار حیاتها فی إدامة بقائها یدور علی التغذیة و النموّ، و تولید المثل، و رأیت ذاتها یفعل هذه الأفعال باقتضاء من نفسه من غیر استعانة بالخارج عنه، و یتمّم و یستکمل هذه الجهات بأفعال و انفعالات ذاتیة طبیعیة بجذب و دفع، و یدیم بها أمره حتی ینتهی إلی البطلان و نظامه نظام طبیعی غیر متوسط غیره فی جریانه، و إذا رجعت إلی الإنسان وجدت هذا النظام الطبیعی منه محفوفاً بمعانٍ لیس لها وجود فی الخارج، وهمیّة باطلة لا یحسّ الإنسان إلّا بها، و لا یماسّ الأمور الطبیعیة إلّا من وراء حجابها، فالإنسان لا یرید و لا

يروم فی دائرة حياته إلّا إياها، و لا ينسج إلّا بمنوالها، لكن الواقع من الأمر حين ما يقع هو الأمور الحقيقية الخارجية.

هذا حال الإنسان فی نشأة المادة و الطبيعية من التعلق التامّ بمعانٍ وهمية سرابية هی المتوسطة بين ذاته الخالية عن الكمالات و بين الكمالات الطارئة اللاحقة بذاته.

الفصل الثانی

حياة الإنسان ظرف نفسه

قال الله سبحانه:

« **الذی أعطی كل شیء خلقه ثم هدی** » [1] .

فأخبر سبحانه أنه بعد إتمام ذات كل شیء هداه إلی كماله المختص به هداية يتفرع علی ذاته، و هو اقتضاؤه الذاتی لكمالاته و اياه يفصل سبحانه بقوله:

« **الذی خلق فسوّی و الذی قدّر فهدی** » [2] .

فهو سبحانه بعد خلق الشیء و تسويته قدر هناک تقديراً، و ذلک بتفصيل خصوصيات وجوده، كما قال:

« **و كل شیء فصّلناه تفصيلاً** » [3] .

---

[1] – سورة طه الآية : ۵۰.

[2] – سورة الأعلی الآيتان : ۲ و ۳.

[3] – سورة الإسراء الآية : ۱۲.

و اتّبع هذا التقدير و التفصيل بهدايته إلى الخصوصيات التى قدّرها له، و ذلک بإفاضة الاقتضاء الذاتى منه لجميع ما يلزمه فى وجوده، و يتمّ به ذاته من كمالاته، و هذا هو النظام الحقيقى الذى فى كلّ واحد، و فى المجموع من الموجودات، و منها الإنسان الذى هو أحدها.

ثم ذكر سبحانه الإنسان، فقال:

« **لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون** » [1] .

فأخبر أنه بعد تماميّة خلقه مردود إلى أسفل سافلين، و استثناء المؤمنين الصالحين حيث أنه معقب بقوله:

« **فلهم أجر غير ممنون** » .

و الأجر بظاهره غير متحقق فى الدنيا بعد، يدلّ على انقطاع الاستثناء، و أنهم مرفوعون بعد الردّ، و قد قال سبحانه:

« **من كان يريد العزة فإنّ العزة للّه جميعاً إليه يصعد الكلم الطيّب و العمل الصالح يرفعه** » [2] .

و قال سبحانه:

« **و إن منكم إلا واردها كان على ربک حتماً مقضيّاً * ثم ننجّى الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثيّاً** » [3] .

و قال سبحانه :

« **يرفع الله الذين آمنوا منكم** » [4] .

قال سبحانه :

« **لو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض و اتبع هواه** » [5] .

فحكم الردّ شامل لنوع الإنسان لا يشذّ عنه شاذّ منهم، و قد قال سبحانه أيضاً:

« **اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ و لكم فى الأرض مستقر و متاع إلى حين** » [6] .

و عقبه تفسيراً بقوله:

---

[1]- سورة التين الآيات : ۴-۶.

[2]- سورظ فاطر الآية : ۱۰.

[3]- سورة مريم الآيتان : ۷۱ و ۷۲.

[4]- سورة المجادلة الآية : ۱۱.

[5]- سورة الأعراف الآية : ۱۷۶.

[6]- سورة البقرة الآية : ۳۶.

« **فيها تحيون و فيها تموتون و منها تخرجون** » [1] .

و قال:

« **إنما هذه الحياة الدنيا متاع** » [2] .

فبين أن الذى ردّ إليه الإنسان هو الحياة الدنيا، و هو أسفل السافلين، ثم وصف الحياة الدنيا، فقال سبحانه:

« **إنما الحياة الدنيا لعب و لهو** » [3] .

و اللعب هو الفعل الذة لا غاية له إلا الخيال، و اللهو هو ما يشغلک بنفسه عن غيره، فأشار إلى أنّ هذه الحياة، و هى تعلّق النفس بالبدن و توسيطه إيّاه فى طريق كمالاته، شاغلة له بنفسه عن غيره؛ و ذلک لأنّ ذلک يوجب أن يتوهّم الروح أنها عين البدن لا غير، و حينئذ ينقطع عن غير عالم الأجسام، و ينسى جميع ما كان عليه من الجمال و الجلال و البهاء، و السناء و النور، و الحبور و السرور، قبل نشأة البدَن المادية، و لا يتذكر ما خلفه من مقامات القرب و مراتب الزلفى و الرفقة للطاهرين، و فضاء الأنس و القدس، فيتقلّب فى أمد حياته للعب، لا يستقبل شيئاً و لا يواجهه شىءٌ من محبوب أو محذور، إلّا لغاية خياليّة و أمنية وهميّة، إذا بلغها لم يجد شيئاً موجوداً. قال سبحانه :

« **و قدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً** » [4] .

و العمل ما يعمله الإنسان من شىء، و قال سبحانه:

« **و الذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً و وجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب** » [5] .

فبيَّن أنّ أعمالهم و غاياتهم منها، كالسراب بالقاع يقصده الظمآن، فلما بلغه لم يجد ما قصده، و وجد ما لم يقصده، وينكشف حينها أنّ ما قصده كان غير مقصوده.

« **و الله غالب على أمره** » [6] .

و هو الذى يشير إليه سبحانه بقوله:

---

[1]– سورة الأعراف الآية : ٢٥.

[2]– سورة غافر الآية : ٣٩.

[3]– سورة محمد الآية : ٣۶.

[4]– سورة الفرقان الآية : ٢٣.

[5]– سورة النور الآية : ٣٩.

[6]– سورة يوسف الآية : ٢١.

« **إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملاً * و إنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً** » [1] .

فإنّ الزينة هى الشيء الجميل المحبوب بنفسه و بذاته، يصحبه شيء آخر، ليكسب منه الحسن، أى يقع فى القلب مع وقوع الزينة، فيجلب الرغبة فتكون هى المقصودة و المتزيّن بها هو الواقع، فجعل ما على الأرض زينة لها ليقصدها القاصدون و يبلغوا الأرض بقصدهم، و هى غير مقصودة. و قال سبحانه:

« **أنما الحياة الدنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم و تكاثر فى الأموال و الأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً** » [2] الآية.

فبَيِّن أنها مؤلفة من أمورٍ خيالية، تحتها أمور حقيقة، فالإنسان بعد كمال خلقته يبدأ بتكميل جهات الحياة الدنيا بتحصيل مقصد بعد آخر، و هو يريد تكميل ما يظنّه كمالاً من اللعب و اللهو و الزينة و التفاخر و التكاثر، و ليستْ إلَّا أموراً وهميّةً، فإذا تمّمها و كمّلها بدا له بطلانها و فنائها عند موته، ووداعه للحياة الدنيا.

و من الممكن أنْ يكون قوله سبحانه فى ذيل الآية:

« **و فى الآخرة عذاب شديد و مغفرة من الله و رضوان و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** » الآية .

معطوفاً على قوله فى صدر الآية « **لعب** » الخ، فيكون خبراً بعد خبر، لقوله: « **أنما الحياة** » الخ. و يؤيّد ذلک بعض التأييد الآية التالية لهذه الآية [3] .

فتبيّن بذلک أن الحياة الدنيا بجهاتها المقصودة من اللعب و اللهو و الزينة و غير ذلک أمر موهوم، و سراب خيالى، و هى بعينها فى الحقيقة و باطن الأمر عذاب و مغفرة و رضوان، يظهر ذلک بظهور أنَّ جهات الحياة الدنيويّة كانت باطلة موهومة كاحطام للنبات، و هو قوله سبحانه:

« **و لو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت و الملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق و كنتم عن آياته تستكبرون * و لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة و تركتم ما خوّلنا كم وراء ظهوركم و ما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطّع بينكم و ضلّ عنكم ما كنتم تزعمون** » [4] .

---

[1]– سورة الكهف الآيتان : ٧ و ٨.

[2] – سورة الحديد الآية : ٢٠.

[3]– و قد نقل عن شيخنا البهائى رضوان الله عليه فى معنى الآية أن هذه الأمور مترتّبة بحسب مدارج عمر الإنسان، فهو يشتغل أوَّلاً: باللعب؛ و ذلک فى أوان الصبا، ثم باللهو، و هو فى أوان البلوغ، ثم بالزينة، و هو عند كمال الشباب، ثم بالتفاخر، و هو عند منتصف العمر، ثم بالتكاثر فى الأموال و الأولاد، و هو فى أوان الشيخوخة، فهى مقسومة على مدارج عُمر الإنسان.

[4]– سورة الأنعام الآيتان : ٩٣ و ٩٤.

فالآيتان كما ترى فى الموت، و ما ينفصل الإنسان عن حياته الدنيا، فيقول سبحانه فيها إن الإنسان سيقبل راجعاً إليه سبحانه فرداً كما خلق أول مرّة، و يترک الأعضاء و القوى و الأسباب التى كان يعتقدها لنفسه أركاناً يعتمد عليها، و أعضاداً يتقوّى بها، و أسباباً يتوصّل بها، و يطمئنّ إليها، و سيتقطع ما بين الإنسان و بينها، أى الروابط التى كان الإنسان يسكن إليها، و يباهى بها، من اعتباراته الوهميّة. و حينئذ ذاک ضلال الكلّ، و زوال الجميع، و فقدانه و مشاهدته عياناً أنه مغروراً بذلک كلّه، و قد قال سبحانه:

« **فلا تغرّنكم الحياة الدنيا و لا يغرّنكم بالله الغرور** » [1].

و قال سبحانه:

« **إنما هذه الحياة الدنيا متاع و إن الآخرة هى دار القرار** » [2].

و قال سبحانه:

« **و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** » .

و المتاع ما يتمتّع و ينتفع به لغيره فى الحياة الدنيا، إنما يتوصّل به لغرور الإنسان بها ليلهو بها عن غيرها، و هى كماله الأقصى فى مبدئه و معاده.

و قال سبحانه:

« **إنما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس و الأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها و ازّيّنت و ظنّ أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس** » [3].

و الأخبار فى المعانى السابقة كثيرة جداً، نقتصر منها بجملة من كلام أمير المؤمنين على (ع)، قال (ع) فى بعض خطبه على ما فى النهج: « **عباد الله، إن الدهر يجرى بالباقين كجريه بالماضين** » إلى أن قال (ع): « **فمن شغل نفسه بغير نفسه تحيّر فى الظلمات، و ارتبک فى الهلكات، و مدّت به شياطينه، فى طغيانه، و زيّنت له سيّئ أعماله، فالجنة غاية السابقين، و النار غاية المفرطين** » إلى أنْ قال (ع): « **و كأنّ الصّيحة قد أتتكم، و السّاعة قد غشيتكمّ و برزتم لفصل القضاء، قد زاحت عنكم الأباطيل، و اضمحلّت عنكم العلل،**

---

[1]- سورة لقمان الآية : ٣٣.

[2]- سورة غافر الآية : ٣٩.

[3]- سورة يونس الآية : ٢٤.

و استحقّت بكم الحقائق، و صدرت بكم الأمور مصادرها، فاتّعظوا بالعبر، و اعتبروا بالغير، و انتفعوا بالنذر » [1].

و قوله (ع) : « فمن شغل... » الخ إشارة إلى قوله تعالى:

« عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضل إذا اهتديتم » [2].

و قوله تعالى:

« و الذين كذبوا بآياتنا صم و بكم فى الظلمات من يشإ الله يضلله و من يشإ يجعله على صراط مستقيم » [3].

و قوله:

« و من يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطانا فهو له قرين * و إنهم ليصدّونهم عن السبيل و يحسبون أنهم مهتدون » [4].

فالإنسان لا حياة له فى غير ظرف نفسه، و لا معاش له دون وعاء وجوده، فإذا نسى نفسه و وقع فى غيرها وقع فى الضلال البحت و البوار، و بطلت أعمال قواه، فلا يعمل منه سمع و لا لسان و لا بصر، فهو فى الظلمات ليس بخارج منها، و صار كلّ ما قصده سراباً، و كل ما صنعه بائراً هالكاً، فإذا برز إلى اليوم الحق، برز صفر اليد خفيف العمل، و قد زاحت عنه أباطيله، و استحقت حقائقه، و الله ولى الأمر كلّه .

و الكلام ذو شجون، و إيثار الاختصار مانع عن الإطناب، و التعرض بأزيد من التلويح و الإشارة على ما هو الدأب فى هذه الرسالة و أخواتها من الرسائل السابقة، فالحقّ سبحانه خيرُ دليل و هو الهادى إلى سواء السبيل.

تمّت والحمد لله، والصلاة على محمد و آله رابع الربيع الأول من سنة واحد و ستّين و ثلثمأة و ألف هجرية قمرية على هاجرها التحية، و وقعت الكتبة فى قريى شادآباد من أعمال بلذة تبريز.

---

[1]- نهج البلاغة : ٢٢١، الخطبة ١٥٧، يحثّ الناس فيها على التقوى.

[2]- سورة المائدة الآية : ١٠٥.

[3]- سورة الأنعام الآية : ٣٩.

[4]- سورة الزخرف الآيتان : ٣٦ و ٣٧.

رسالة الانسان بعد الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أوليائه المقربين، سيّما محمد و آله الطاهرين.

هذه رسالة فى المعاد نشرح فيها بعون الله سبحانه، حال الإنسان بعد حياته الدنيا على ما يقوم عليه البرهان، و يستخرج من الكتاب، و يكشف عنه السنة. غير أنّا آثرنا فيها الاختصار و الاقتصار على كليات المعانى، فإنّ

المسلک الذی نستعمله من تفسیر الآیة بالآیة، و الروایة بالروایة، بعید الغور، منیع الحریم، وسیع المنطقة، لا یتیسّر استیفاء الحظ منه فی رسالة واحدة، یقاس فیها النظیر بالنظیر، والشبیه بالشبیه، و الأظراف بالنسب، و یؤخذ بهاالجار بالجار، وستقف إن شاء الله العزیز علی صحة قولنا هذا.

و منَ الإنصاف أنْ نعترف أنَّ سلفنا من المفسرین و شرّاح الأخبار أهملوا هذا المسلک فی استنباط المعانی و استخراج المقاصد، فلم یورثونا فیه و لا یسیرا من خطیر، فالهاجم إلی هذه الأهداف و الغایات علی صعوبة منالها و دقّة مسلکها، کساع إلی الهیجاء بغیر سلاح، و الله المستعان.

الفصل الأول

فی الموت و الأجل

قال الله سبحانه:

« **ما خلقنا السموات و الأرض و ما بینهما إلا بالحق و أجل مسمّی** » [1] [2].

فبیَّن أنَّ کلّ موجود من السماء و الأرض و ما بینهما وجوده محدود بأجل، سمّاه سبحانه، أی قدره و عینه، لا یتعدَّی وجود عن أجله کما قال سبحانه:

« **و لکل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا یستأخرون ساعة و لا یستقدمون** » [3].

و قال سبحانه:

---

[1]– سورة الأحقاف الآیة ۳ .

[2] – و الآیة– کما تری – مثل نظائرها ساکتة عن ضرب الأجل لما وراء السموات و الأرض، و ما بینهما مما هو خارج عنها، و لیس فی کلامه سبحانه ما یدلّ علی ابتداء خلق هذا النوع إلَّا علی فنائه و زواله، بل ربّما یستفاد العکس من قوله: « **و إن من شیء إلا عندنا خزائنه و ما ننزله إلا بقدر معلوم** » سورة الحجر الآیة : ۲۱، و قوله: « **ما عندکم ینفد و ما عند الله باق** » سورة النحل الآیة : ۹۶، بل نفس الآیة أعنی قوله: « **ما خلقنا السموات** » الآیة دالّة علی أنّ الحق و الأجل المسمّی خارجان عن هذا الحکم، و هما الواسطتان (منه ره).

[3]– سورة الأعراف الآیة : ۳۴.

« **ما تسبق من أمة أجلها و ما يستأخرون** » [1] .

و الآيات فی هذا المعنی کثیرة، و أجل الشیء هو الوقت الذی ینتهی إلیه، فیستقرّ فیه، و منه أجل الدین و تسمیته، و بالجملة هو الظرف الذی ینتهی إلیه الشیء ، و لذلک عبَّر عنه بالیوم فی قوله سبحانه:

« **قل لکم میعاد یوم لا تستأخرون عنه ساعة و لا تستقدمون** » [2] .

ثم إنّه قال سبحانه:

« **هو الذی خلقکم من طین ثم قضی أجل مسمّی عنده** » [3] .

فأخبر بأنّ الأجل المسمّی عنده، و قد قال سبحانه:

« **ما عندکم ینفد و ما عند الله باق** » [4] .

فأخبر بأن ما هو موجود عنده حاضر لدیه لا یتطرّقه النفاد، و لا یلحقه تغیّر، و لا یعرضه کون و لا فساد، فلا یعتوره الزمان و طوارق الحدثان، فالأجل المسمّی ظرف محفوظ، ثابت یثبت فیه مظروفة من غیر تغیّر و لا نفاد.

و قال سبحانه:

« **إنما مثل الحیاة الدنیا کماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما یأکل الناس و الأنعام حتی إذا أخذت الأرض زخرفها و ازّیّنت و ظنّ أهلها أنهم قادرون علیها أتاها أمرنا لیلاً أو نهاراً فجعلناها حصیداً کأن لم تغن بالأمس** » [5] .

فأخبر سبحانه بالأجل الذی لزینة الأرض، و أنه یتحقّق بالأمر الالهی، و کذلک الحیاة الدنیا، فهناک أمر الهی یتحقّق به الأجل الدنیوی، فالأجل أجلان، أو أجل واحد ذو وجهین: أجل زمانی دنیوی، و أمرٌ إلهی کما یومی إلیه قوله سبحانه:

« **ثم قضی أجل مسمّی عنده** » [6] .

---

[1]– سورة المؤمنون الآیة : ۴۳.

[2]– سورة سبأ الآیة : ۳۰.

[3]– سورة الأنعام الآیة : ۲.

[4]– سورة النحل الآیة : ۹۶.

[5]– سورة یونس الآیة : ۲۴ .

[6]– سورة الأنعام الآیة : ۲.

فالأجل المسمّى من عالم الأمر، و هو عنده سبحانه، فلا حاجب هناک أصلاً كما يفيده لفظ (عند) و (إيّاه) يفيد قوله سبحانه:

« **من كان يرجو لقاء الله فإنّ أجل الله لآت** » [1] .

و لذلک أيضا عبّر عنه بالرجوع إلى الله، والمصير إليه فى آيات كثيرة.

ثم إن هذا الرجوع، و هو الخروج عن نشأة الدنيا، و الورود فى نشأة أخرى، هو الموت الذى وصفه سبحانه لا ما يتراءى لظاهر أعيننا من بطلان الحسّ و الحركة و زوال الحياة، و بالجملة فناء الشيء. قال سبحانه: : « **و جاءت سكرة الموت بالحق ذلک ما كنت منه تحيد** »[2] .

فوصفه بالحق فلا يكوننّ باطلا و عدما.

و قال سبحانه:

« **كلا إذا بلغت التراقى** »[3] .

إلى أن قال:

« **والتفّت السّاق بالسّاق * إلى ربک يومئذ المساق** » [4].

فيوم الموت يوم الرجوع إلى الله و السوق إليه.

و يدلّ على ما مرّ ما رواه الصدوق و غيره عن النبى (ص): « **ما خلقتم للفناء، بل خلقتم للبقاء، و إنما تنتقلون من دار إلى دار** » [5].

و فى العلل عن الصادق (ع) –فى حديث–: « **فهكذا الإنسان خلق من شأن الدنيا و شأن الآخرة، فإذا جمع الله بينهما صارت حياته فى الأرض؛ لأنه نزل من شأن السماء إلى الدنيا، فإذا فرّق اله بينهما صارت تلک الفرقة الموت، ترد شأن الأخرى إلى السماء.فالحياة فى الأرض و الموت فى السماء؛ و ذلک أنه يفرّق بين الروح و الجسد،فردّت الروح و النور إلى القدس الأولى و ترک الجسد لأنه من شأن الدنيا** » [6]– الحديث.

---

[1]– سورة العنكبوت الآية : ۵.

[2] – سورة ق الآية : ۱۹.

[3] – سورة القيامة الآية ۲۶.

[4] – سورة القيامة الآيتان : ۲۹ و ۳۰.

[5] – بحار الأنوار : ۲۴۹/۶، كتاب العدل و المعاد، الباب۸، الحديث ۸۷.

[6] – علل الشرائع: ۱۳۲/۱، الباب۹۶، الحديث۵.

و فی المعنی عن الحسن بن علیّ، قال: دخل علیّ بن محمد علی مریض من أصحابه و هو یبکی و یجرّج من الموت، فقال له: « یا عبدَ الله، تخاف من اموت لأنک لا تعرفه، أرأیتک إذا اتّسخت و تقذّرت و تأذّیت من کثرة القذر و الوسخ علیک

و أصابک قروح و جرب، و علمت أن الغسل فی حمام یزیل ذلک کلّه أما ترید أن تدخله فتغسل ذلک عنک، أو تکره أن تدخله فیبقی ذلک علیک ؟ »، قال: بلی یابن رسول الله، قال (ع): « فذلک الموت هو ذلک الحمام، و هو آخر ما یبقی علیک من تمحیص ذنوبک و تنقیتک من سیئاتک، فإذا أنت وردت علیه و جاورته فقد نجوت من کل غمٍّ و همٍّ و أذی، و وصلت إلی کل سرور و فرح »، فسکن ذلک الرجل و نشط و استسلم و غمّض عین نفسه و مضی لسبیله[1] .

و فی المعانی: عن الجواد (ع)، عن آبائه، فی حدیث، قال: و قال علیّ بن الحسین (ع): « لما اشتدّ الأمر بالحسین بن علیّ بن أبی طالب (ع)، نظر إلیه من کان معه فإذا هو بخلافهم؛ لأنهم کلّما اشتد الأمر تغیّرت ألوانهم، و ارتعدت فرائصهم، و وجلت قلوبهم، و کان الحسین (ع) و بعض من معه من خصائصه، تشرق ألوانهم، و تهدأ جوارحهم، و تسکن نفوسهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا لا یبالی بالموت. فقال لهم الحسین (ع): صبرا بنی الکرم، فما الموت إلا قنطرة یعبر بکم عن البؤس و الضّرّاء إلی الجنان الواسعة و النعیم الدائمة، فأیُّکم یکرهْ أن ینتقل من سجن إلی قصر، و ما هو لأعدائکم إلّا کَمَنْ ینتقل من قصر إلی سجن و عذاب، إنّ أبی حدّثنی عن رسول الله (ص): إنّ الدنیا سجن المؤمن و جنة الکافر، و الموت جسر هؤلاء إلی جناتهم، و جسر هؤلاء إلی جحیمهم ما کذب و لا کذّبت »[2] .

و قال محمد بن علیّ(ع) قیل لعلیّ ن الحسین (ع): ما الموت ؟ قال: « للؤمن: کنزع ثیاب و سخة قملة، و فکّ قیود و أغلال ثقیلة، و الاستبدال بأفخر الثیاب و أوطیبها روائح و أوطی المراکب، و آنس المنازل، و للکافر: کخلع ثیاب فاخرة، و النقل من منازل أنیسة، و الاستبدال بأوسخ الثیاب و أخشنها، أوحش المنازل و أعظم العذاب »[3] .

---

[1] – معانی الأخبار: ۲۹۰، باب معنی الموت، الحدیث۹.

[2] – معانی الأخبار: ۲۸۸، باب معنی الموت، الحدیث ۳.

[3] – المصدر امتقدّم: ۲۸۹، الحدیث ۴.

و قيل لمحمد بن علىّ (ع): ما الموت؟ قال: « **هو النوم الذى يأتيكم كلّ ليلة، إلا أنه طويل مدّته لا ينتبه منه إلا يوم القيامة، فمن رأى فى نومه من أصناف الفرح، ما لا يقادر قدره، و من أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره، فكيف حال فرح فى النوم و وجل فيه، هذا هو الموت فاستعدّوا له** »[1] .

أقول: عدّ (ع) الموت من نوع النوم مستفادٌ من قوله سبحانه :

« **الله يتوفى الأنفس حين موتها و التى لم تمت فى منامها فيمسک التى قضى عليها الموت و يرسل الأخرى** » [2] .

حيث عدَّ الأمرين جميعاً توفّياً، ثم عبّر بالإمساک دون القبض.

و كذلک عدّه (ع) –الموت– كما فى سائر الأحاديث، وصفاً للروح و أنه يترک به الجسد و يمضى لسبيله، هو المستفاد من قوله سبحانه:

« **الله يتوفى الأنفس حين موتها** » [3] .

حيث نسب التوفّى، و هو أخذ الحقّ من المطلوب بتمامه إلى الأنفس، كما نسبه فى قوله تعالى:

« **و هو الذى يتوفكم** » [4] .

إلى لفظ «كم»، و هو الأمر الذى يعبِّر عنه الإنسان « بأنّا » وقد شرحناه فى رسالة الإنسان قبل الدنيا .

و بالجملة، فالوارد فى النشأة الأخرى من الإنسان، نفسه و روحه، و عليه يدلّ قوله سبحانه:

« **يا أيها الإنسان إنک كادح إلى ربک كدحاً فملاقيه** » [5] .

و الكدح هو السعى إلى الشىء، و الإنسان كادح إلى ربه لأنه لم يزل سائراً إلى الله سبحانه منذ خلقه و قدره، و لذلک عبّر عن إقامته فى هذه الدار باللبث فى آيات كثيرة. قال سبحانه:

« **قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين** » [6] .

ثم إنه سبحانه قال:

« **الله يتوفى الأنفس حين موتها** » [1] .

---

[1] – المصدر المتقدّم: الحديث ۵.

[2] – سورة الزمر الآية : ۴۲.

[3] – سورة الزمر الآية : ۴۲.

[4] – سورة الأنعام الآية : ۶۰.

[5] – سورة الانشقاق الآية : ۶.

[6] – سورة المؤمنون الآية : ۱۱۲.

فنسب التوفى إلى نفسه. و قال سبحانه:

« **قل يتوفاكم ملک الموت الذى وكّل بكم** » [۲] ،

فنسبه إلى ملک الموت.

و قال سبحانه:

« **حتى إذا جاء أحدكم الموت توفّته رسلنا و هم لا يفرّطون** » [۳] ،

فنسبه إلى الملائكة الرّسل، و مرجع الجميع واحد؛ لما عرفت فى محلّه أنّ الأفعال كلها الله، و هى مع ذلک ذات مراتب تقوم بكلّ مرتبة من مراتبها طائفة من الموجودات على حسب مراتبها فى الوجود.

و الأخبار أيضاً شاهدة بذلک، ففى التوحيد عن الصادق (ع)، قال:« **قيل لملک الموت كيف تقبض الأرواح و بعضُها فى المغرب، و بعضها فى المشرق فى ساعةٍ واحدة؟ فقال: أدعوها فتجيبنى** »، قال:« **وقال ملک الموت : إنّ الدنيا بين يدىّ كالقصعة بين يدى أحدكم يتناول منها ما شاء، و الدنيا عندى كالدرهم فى كفِّ أحدكمْ يقلّبه كيف شاء**» [۴].

و فى الفقيه عن الصادق (ع) أنّه سئل عن قول الله عزّوجلّ:

« **الله يتوفى الأنفس حين موتها** » ،

و عن قول الله:

« **قل يتوفاكم ملک الموت الذى وكل بكم** » ،

و عن قوله الله:

« **الذين تتوفاهم ظالمى أنفسهم** » [۵] ،

« **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين** » [۶] ،

و عن قول الله:

« **توفّته رسلنا** » [۱] ،

---

[۱]– سورة الزمر الآية : ۴۲.

[۲]– سورة السجدة الآية : ۱۱.

[۳]– سورة الأنعام الآية : ۶۱.

[۴] – لم نعثر عليه فى التوحيد، راجع من لا يحضره الفقيه:۱/۱۵۰، باب ۲۳ غسل الميت، الحديث ۱۲.

[۵]– سورة النحل الآية : ۲۸.

[۶] – سورة النحل الآية : ۳۲.

و عن قول الله:

« **و لو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة** » [2].

و قد يموت فى الساعة الواحدة فى جميع الآفاق ما لا يحصيه إلا الله عزوجل، فكيف هذا؟ فقال: « **إن الله تبارک و تعالى جعل لملک الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة، له أعوان من الإنس يبعثهم فى حوائجهم، فتوفّاهم الملائكة و يتوفاهم ملک الموت مع ما يقبض هو، و يتوفاه الله عزوجل من ملک الموت** »[3].

و فى التوحيد عن أمير المؤمنين (ع) مثله، و زاد فى آخره : « **و ليس كل العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسّره لكل الناس؛ لأنَّ منهم القويّ و الضعيف؛ و لأنّ منه ما يطاق حمله و منه لا يطاق حمله، إلا من يُسَهِّل الله له حمله، و أعانه عليه من خاصّة أوليائه، و إنما يكفيک أنْ تعلم أنّ الله المحيى المميت، و أنه يتوفّى الأنفس على يدى من يشاء من خلقه من ملائكته و غيرهم** »[4] – الحديث .

أقول: قوله(ع): « و غيرهم » ظاهره أنه سبحانه ربما توفاها على يدى غير الملائكة من خلقه، فهو معنى غريب، و يمكن أن يراد به بعض المقرّبين من الأولياء العالين درجة من الملائكة المتمكّنين فى مقام الأسماء كالقابض و المميت، و يمكن أن يراد به ما يتوفّاه سبحانه بنفسه من غير توسّط الملائكة، و إن كان مرجع المَعنَيَين واحداً.

فقد روى فى الكافى عن الباقر(ع): كان على بن الحسين(ع) يقول: « **إنّه يسخى نفسى فى ساعة الموت و القتل فينا قول الله:**

« **أولم يروا أنّا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها** » [5].

و هو ذهاب العلماء»[6].

و الظاهر – على ما ذكره بعض العلماء – أنه (ع) أخذ الأطراف – جمع طرف، بتسكين الراء– ، بمعنى العلماء و الأشراف، كما ذكره فى الغريبين [1].

---

[1] – سورة الأنعام الآية : ۶۱.

[2] – سورة الأنفال الآية : ۵۰.

[3] – من لا يحضره الفقيه:۱۵۲/۱، الباب ۲۳ غسل الميت، الحديث ۲۶.

[4] – التوحيد: ۲۶۲، الباب۳۶، الحديث۵.

[5]– سورة الرعد الآية : ۴۱.

[6] – الكافى:۵۶/۱، كتاب فضل العلم، الباب ۷، الحديث ۶، و فيه؛ «فينا» بدل «فيها».

و بالجملة، فكما أنّ حال الأنفس فى القرب من الله سبحانه على مراتب حقيقيّة، كذلک حال المتوفى، فمن نفس يتوفاها الله بنفسه تعالى، لا تحسّ و لا تشعر بغيره سبحانه، و من نفس يتوفاها ملک الموت لا تشعر بمن دونه كما يشير إليه الصادق (ع) بقوله –فى الرواية السابقة– مع ما يقبض هواه، و من نفس تتوفاها الملائكة عملة ملک الموت، و المأخوذ « المتوفّى » على كل حال هو النفس دون البدن كما مرّ، و هو سبحانه أقرب إلى النفس من نفسه و ملائكته من عالم الأمر و بأمره يعملون، و النفس أيضاً من هناک و لا حجاب فى الأمر بشىء من الأزمنة و الأمكنة، فالتوفى من باطن النفس و داخلها، دون الخارج عنها و عن البدن، و قد قال سبحانه:

« **إذ فرغوا فلا فوت و أخذوا من مكان قريب** » [٢].

و قال سبحانه:

« **فلولا إذا بلغت الحلقوم * و أنتم حينئذ تنظرون * و نحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون** » [٣].

ثم إذا كانت النفس المتوفاة، و هى الإنسان، حقيقة لا تبطل بالموت، و قد سكنت فى الدنيا و سكن إليها، و عاش فى دار الغرور و استأنست بها، فأوّل ما ينكشف له حين الموت بطلان ما فيها، و انمحاء الرسوم التى عليها، و تبدّل الأعمال و الغايات التى فيها بالسراب، بتقطّع ظواهر الأسباب.

قال سبحانه:

« **و لو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت و الملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق و كنتم عن آياته تستكبرون * و لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة و تركتهم ما خوّلناكم وراء ظهوركم و ما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطّع بينكم و ضلّ عنكم ما كنتم تزعمون** » [٤].

فالإنسان إنما يختلط فى هذه الدار الدنيا بقسمين من موجوداتها و شؤونها:

أحدهما : ما يزعم أنه يملكه من زينة الحياة الدنيا و زخرفها و يستعين به فى آماله و أمانيه و أغراضه و غاياته.

---

[١] – تفسير الصافى: ٧۶/٣.

[٢]– سورة سبأ الآية : ٥١.

[٣]– سورة الواقعة الآيتان : ٨٣–٨٥.

[٤] – سورة الأنعام الآيتان : ٩٣–٩۴.

و الثانی: ما یرتبط به مما یزعمه شفیعاً لا یتمکن من بلوغ المآرب إلّا بشراکته و تأثیره من أزواج و أولاد و أقارب و أصدقاء و معارف من أولی القوة و البأس، فأشار سبحانه إلی بطلانهما بالجملة بقوله:

« **و لقد جئتمونا فرادی** » الآیة،

و إلی زوال القسم الأول بقوله:

« **و ترکتم ما خوّلناکم** » الآیة،

و إلی زوال القسم الثانی بقوله:

« **و ما نری معکم** شفعاءکم » الآیة،

و إلی سبب البطلان بقوله:

« **لقد تقطّع بینکم** » الآیة،

و إلی نتیجته بقوله:

« **و ضلّ عنکم** » الآیة .

و بالجملة، فیبقی ما فی الدنیا فی الدنیا، و تشرع من حین الموت حیاة أخری للإنسان فاقدة لجمیع ما فی الدنیا، و لذلک سمّی الموت بالقیمة الصغری. فعن أمیر المؤمنین (ع): « **من مات فقد قامت قیامته** » [1].

ثم إنّ النفس إذا فارقت الجسد فقدت صفة الإختیار و التقوی علی کلا طرفی الفعل و الترک، و حینئذ یرتفع موضوع التکلیف.

قال سبحانه:

« **یوم یأتی بعض آیات ربک لا ینفع نفساً إیمانها لم تکن آمنت من قبل أو کسبت فی إیمانها خیراً** »[2] .

و عند ذلک یقع الإنسان فی أحد الطریقین: السعادة و الشقاوة، و یحتم له إمّا السعادة أو الشقاء، فیتلقّی إما بشری السعادة، أو وعید الشقاوة.

قال سبحانه:

« **و لو تری إذ الظالمون فی غمرات الموت و الملائکة باسطوا أیدیهم أخرجوا أنفسکم الیوم تجزون عذاب الهون** » [3]الآیة.

---

[1] – بحار الأنوار: ۶۷/۷۰.

[2] – سورة الأنعام الآیة : ۱۵۸.

[3] – سورة الأنعام الآیة : ۹۳.

و قال سبحانه:

« **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون** » [1].

و قال سبحانه:

« **إنّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا و لا تحزنوا و أبشروا بالجنة التى كنتم توعدون** » [2].

و قوله: « **كنتم توعدون** » مشعر بكون البشارة بعد الدنيا، و هى الآخرة، و من المعلوم أن البشارة بالشىء قبل حلوله، فالبشرى بالجنة قبل دخولها، و هى إنما تكون بأمر قطعى الوقوع، فلا تتحقّق فى الدنيا حتى الموت لبقاء الاختيار، و إمكان انتقال الإنسان من أحد سبيلى السعادة و الشقاوة إلى الآخر.

و من هنا ما ترى أنه سبحانه فى قوله:

« **ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون ❊ الذين آمنوا و كانوا يتقون ❊ لهم البشرى فى الحياة الدنيا و فى الآخرة** » [3].

حيث أثبت فى حق المؤمنين أنهم مأمونون من الخوف و الحزن، و أنَّ لهم البشرى فى الحياة الدنيا، أثبت قبل ذلک الولاية فى حقهم، و هى أن يكون سبحانه هو الذى يلى أمورهم من غير دخالة اختيارهم و آنية أنفسهم فى التدبير، و عند ذلک تصحُّ البشارة لعدم إمكان شقاء فى حقهم ما ولى أمرهم الحق سبحانه، و لذلک غيّر السياق فى وصف تقواهم فقال:

« **و كانوا يتقون** » الخ.

و كان حق ظاهر السياق أنْ يقول: « آمنوا و اتقوا »، إشارة إلى أنّ إيمانهم هذا مكتسب بالتقوى بعد إيمان سابق عليه، و هذا صفاء الإيمان من شائبة الشرک المعنوى بالاعتماد على غيره سبحانه، فهو فى مساق قوله سبحانه:

« **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و آمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نوراً تمشون به و يغفر لكم** » [4].

---

[1]- سورظ النحل الآية : ٣٢.

[2]- سورة فصّلت الاية : ٣٠.

[3]-سورة يونس الآيات : ٦٢-٦٤.

[4]- سورة الحديد الآية : ٢٨.

و هذا هو الذى امتنّ سبحانه به فسمّاه « نعمة » فقال:

« **الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً و قالوا حسبنا الله و نعم الوكيل** » [1]

.

فارجعوا الأمر إليه سبحانه، و سلبوا تدبير أنفسهم و اختيارها، فقال سبحانه:

« **فانقلبوا بنعمة من الله و فضل لهم يمسسهم سوء** » [2] .

فنفى مسّ السوء عنهم بنعمة أفاضها عليهم، و ليست إلّا الولاية بتولّيه سبحانه أمورهم، و دفعه السوء عنهم بتدبيره، و كفايته لهم، و وكالته عنهم، و مثله قوله تعالى:

« **يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا و فى الآخرة و يضل الله الظالمين و يفعل الله ما يشاء * ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً** » [3] ،

فسمّى ذلک نعمة.

ثم ذكر سبحانه أنه سيلحق المطيعين بأوليائه المنعّمين بهذه النعمة، فقال سبحانه:

« **و من يطع الله و الرسول فأولئک مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئک رفيقاً** » [4] .

فإنّ المطيع من حيث إرادته، لا إرادة له غير إرادة المطاع، فالمطاع هو القائم مقام نفس المطيع فى إرادتها و أفعالها، فالمطاع وليّه و كلّ من كان لا نفس له إلّا نفس المطاع، فهو أيضاً ولىّ للمطيع؛ إذ ليس هناک إلا المطاع؛ و لذلک قرّر سبحانه بعض أوليائه المقربين وَلِيّاً لآخرين، قال سبحانه:

« **إنما وليّكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون** » [5] .

و الآية منزّلة فى أمير المؤمنين (ع)، و ليس المراد بالولاية فى الآية هو المحبّة قطعاً لمكان «إنما»، و كون المورد مورد بيان الواقع لمكان قوله سبحانه: « **وليكم الله ...**»

بخلاف قوله:

---

[1]- سورة آل عمران الآية : ۱۷۳.

[2]- سورة آل عمران الآية : ۱۷۴.

[3]- سورة إبراهيم الآيتان : ۲۷ و ۲۸.

[4]- سورة النساء الآية : ۶۹.

[5]- سورة المائدة الآية : ۵۵.

« و من يتولّ الله و رسوله و الذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون » [1] .

و قوله تعالى:

« و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض » [2] .

و بالجملة، فعند ذلک يتّضح وجه إلحاقه سبحانه المطيعين بأوليائهم، فهو سبحانه ولى الجميع و بعضهم، و هم الأقربون إليه، أولياء لبعض آخر ممن دونهم و جميغهم لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، يبشّرون بالجنة و الرفقة الصالحة عند الموت.

و يدلُّ أيضاً على هذه المعانى أخبارٌ كثيرة، ففى الكافى عن سَدير الصيزفى قال: قلت لأبى عبد الله (ع): جعلت فداک يا بن رسول الله، هل يُكره المؤمن على قبض روحه؟ قال : **« لا و الله، إذا أتاه ملک الموت لقبض روحه جزع عند ذلک، فيقول له ملک الموت: يا ولى الله لا تجزع، فوالذى بعث محمداً لأنا أبَرُّ بک و أشفَقُ عليک من والد رحيم، افتح عينيک فانظر، قال: و يمثُلُ له رسول الله، و أمير المؤمنين،و الفاطمة، و الحسن، و الحسين، و الأئمةُ من ذريتهم، فقال له: هذا رسول الله و أمير المؤمنين و فاطمة و الحسن و الحسين و الأئمة رفقاؤک، فقال: فيفتح عينيه فينظر، فينادى روحه منادٍ ارجعى إلى ربک راضية بالولاية، مرضية بالثواب، فادخلى فى عبادى و ادخلى جنتى، فما من شىء أحبُّ إليه من استلال روحه و اللحوقِ بالمنادى »** [3] .

و روى العيّاشى فى تفسيره عن عبد الرحيم الأقصر، قال أبو جعفر(ع) : **« إنما أحدكم حين يبلغ نفسه هاهنا فينزل عليه ملک الموت فيقول: أمّا ما كنت ترجوه فقد أُعطيته، و أمّا ما كنت تخافه فقد أمنتَ منه، و يُفتح له بابٌ إلى منزله من الجنة، و يقال له: انظر إلى مسكنک فى الجنة، و انظر إلى رسول الله و على و الحسن و الحسين رفقائک، و هو قول الله:**

« الذين آمنوا و كانوا يتقون * لهم البشرى فى الحياة الدنيا و فى الآخرة » [4] **»** [5].

---

[1] – سورة المائدة الآية : ۵۶.

[2] – سورة التوبة الآية : ۷۱.

[3] – الكافى: ۱۲۸/۳، الباب ۸۳، الحديث ۲.

[4] – سورة يونس الآيتان : ۶۳ و ۶۴.

[5] – تفسير العيّاشى:۱۳۳/۲، الحديث ۳۲.

و روى المفيد فى مجالسه عن الأصبغ بن نباتة، حديث الحارث الهمدانى مع أمير المؤمنين(ع)، و فيه قال(ع): « **و ابشرک يا حارث لتعرفنى عند الممات، و عند الصراط، و عند الحوض، و عند المقاسمة** » . قال الحارث: و ما المقاسمة؟ قال: « **مقاسمة النار، أقاسمها قسمة صحيحة، أقول هذا وليّى فاتركيه، و هذا عدوّى فخذيه** »[1] –الحديث.

وهو من مشاهيرالأخبار، رواه جمع من الرواة و صدقه بعض الأئمة بعده (ع).

وفى غيبة النعمانى عن أميرالمؤمنين –فى حديث– : « **أما أنه لا يموت عبد يحبّنى فتخرج نفسه حتى يرانى حيث يحب، ولا يموت عبد يبغضنى فتخرج نفسه حتى يرانى حيث يكره** » [2]– الحديث .

و فى الكافى عن الصادق(ع)، قال: « **ما من أحد يحضره الموت إلاّ وكل به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر، ويشكّكه فى دينه حتى تخرج نفسه، فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه، فإذا حضرتم موتاكم فلقّنوهم شهادة أنْ لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً رسول الله، حتى يموت** » [3]–الحديث، ومعناه مستفاد من قوله سبحانه: « **يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا و فى الآخرة و يضل الله الظالمين** » [4] .

و قوله سبحانه:

« **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلمّا كفر قال إنى برىء منک إنى أخاف الله رب العالمين** » [5].

فظاهر الآية أنّ قوله : « **اكفر** » ، وقوله: « **إنى برىء** » من جنس واحد، و وقت واحد، وليس من لسان الحال فى شىء و هناک خطاب.

وفى تفسير العيّاشى عن أبى عبدالله (ع) قال: « **إنّ الشيطان ليأتى الرجل من أوليائنا عند موته عن يمينه و عن يساره ليصدّه عما هو عليه، فيأبى الله ذلک، وكذلک قال الله:**

« **يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة و فى الآخرة** » »[6] .

---

[1] – أمالى المفيد: ۶.

[2] – لم نعثر عليه فى غيبة النعمانى، راجع بحار الأنوار:۱۹۱/۶، كتاب العدل و المعاد، الباب ۷، الحديث ۳۸.

[3] – الكافى: ۱۲۴/۳، الباب ۸۰، الحديث ۶.

[4]– سورة إبراهيم الآية : ۲۷.

[5]– سورة حشر الآية : ۱۶.

[6] – تفسير العيّاشى: ۲۴۲/۲، الحديث ۱۶.

أقول: و الروايات عن أئمّة الهدى فى هذه المعانى متظافرة متكاثرة، رواها جمّ غفير من الرواة، هذا كلّه ما يفيده الكتاب و السنّة، و البرهان يفيده أيضاً، مما يدلّ على تجرّد النفس و عدم انعدامها و بطلانها بانقطاع علاقتها عن البدن، و سيجىء إشارة إليه فى الفصل التالى إن شاء الله .

الفصل الثانى

فى البرزخ

قد بيّن فى محلّه أنّ بين عالم الأجسام و الجسمانيّات و بين أسمائه سبحانه عالمين: عالم العقل، و عالم المثال.

و أنّ كل واحد من الموجودات يرجع بالضرورة إلى ما بدأ منه.

و أنّ العالم آخذاً من الجسمانيّات إلى أن ينتهى إلى المبدأالأول و مبدع الكل، مترتّبة فى الكمال و النقص، متطابقة فى الوجود، و معنى ذلک تنزّل العالى إلى مرتبة السافل و ظهوره، كالمرآة تنعكس فيه صور ما يقابلها

من الأضواء و الألوان و المقادير، فتظهر منها على قدر ما تقبله و تطيقه و تتكيّف بما فى المرآة من الكيفيات تماماً و نقصاً.

و إنّ عالم المثال، كالبرزخ بين العقل المجرّد و الموجودات المادية فهو موجود مجرد عن المادة، غير مجرّد عن لوازمها من المقادير و الأشكال و الأعراض الفعليّة، و بهذه المقدمات يتبيّن تفصيل حال الإنسان فى انتقاله من الدنيا إلى ما بعد الموت هذا.

و ينبغى لک أن تتثبّت فى تصوّر معنى المادة، و أنّها جوهر، شأنها قبول الآثار الجسميّة و تحقّقها فى الأجسام مصحّحة الإنفعالات التى ترد عليها، و ليست بجسم و لا محسوس، و إياک أن تتصوّر أنها الجسمية التى فى الموجودات الجسمانية، فهذا هو الذى عزب عن جمع من علماء الظواهر فتلقّوا ما ذكره المتألّهون من أصحاب البرهان على غير وجهه، و حسبوا أنَّ قولنا: إنَّ البرزخ لا مادة له مثلاً، أو أنّ لذائذه خياليّة أو هناک لذّة عقلية معناها أنها وهميّة سرابيّة غير موجودة فى الخارج إلّا فى الوهم و التصوّر، و ذلک انحراف عن المقصود، خاطىء من جهة المعنى.

و كيف كان، فحال البرزخ ما عرفته، و الكتاب و السنة يدلّان على ذلک، لكن الأخبار حيث اشتملت على جُلَّ الآيات، وضعنا الكلام فيها و تعرّضنا للآيات التى تتحدّث عنها.

ففى تفسير النعمانى: بإسناده عن أمير المؤمنين (ع)، قال: « **و أما الردّ عَلَى مَنْ أنكر الثواب و العقاب فى الدنيا بعد الموت قبل القيامة بقول الله عزوجل: « يوم يأت لا تكلّم نفس إلّا بإذنه فمنهم شقىّ و سعيد * فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير و شهيق * خالدين فيها ما دامت السموات و الأرض إلَّا ما شاء ربک إنّ ربک فعال لما يريد * و أما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات و الأرض إلا ما شاء ربک عطاء غير مجذوذ »**[1] »[2].

يعنى السموات و الأرض قبل القيامة، فإذا كانت القيامة بدلت السموات و الأرض.

و مثل قوله تعالى:

« **و من ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** » [3] .

و هو أمر بين أمرين؛ و هو الثواب و العقاب بين الدنيا و الآخرة.

---

[1] – سورة هود الآيات : ۱۰۵–۱۰۸.

[2] – راجع تفسير القمى: ۴۶/۱، مقدمة الكتاب.

[3] – سورة المؤمنون الآية : ۱۰۰.

و مثله قوله تعالى:

« **النار يعرضون عليها غدوّاً و عشيّاً و يوم تقوم الساعة** » [1]،

و الغدو و العشى لا يكونان فى القيامة التى هى دار الخلود، و إنما يكونان فى الدنيا، و قال الله تعالى فى أهل الجنة:

« **و لهم رزقهم فيها بكرة و عشياً** » [2] .

و البكرة و العشى إنما يكونان من الليل و النهار فى جنة الحياة قبل يوم القيامة، قال الله:

« **لا يرون فيها شمساً و لا زمهريراً** » [3] .

و مثله قوله:

« **و لا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله** » [4] الآية .

أقول قوله سبحانه:

« **النار يعرضون عليها** » .

أريد به نار الآخرة، و أما المعرض عليها فهو فى البرزخ، و يدل على ذلک ذيل الآية، و هو قوله سبحانه:

« **و يوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشدّ العذاب** » [5] .

و سيأتى نظير هذا التعبير فى الروايات، أنه يفتح له إلى قبره باب من الحميم، يدخل عليه منه اللهب و الشرور، فهناک نار مثال نار، و عذاب مثال عذاب.

و قوله سبحانه:

« **فأما الذين شقوا ففى النار** » [6]،

أريد به نار البرزخ، و بما ذكر يتّضح الجمع بين الكون فى النار و المعرض عليها، و مثله قوله سبحانه:

« **إذ الأغلال فى أعناقهم و السلاسل يسحبون * فى الحميم ثم فى النار يسجرون** » [1] ،

---

[1]- سورة غافر الآية : ۴۶.

[2]- سورة مريم الآية : ۶۲.

[3]- سورة الإنسان الآية : ۱۳.

[4]- سورة آل عمران الآيتان : ۱۶۹ و ۱۷۰.

[5]- سورة غافر الآية : ۴۶.

[6] - سورة هود الآية : ۱۰۶.

فالسَّحب فی الحمیم، و هو الماء الحارّ مقدّمة للإسجار فی النار، و هو فی القیامة، و هذه المعانی مرویَّة فی تفسیر العیاشی أیضاً.

و رَوَی القمّی[۲] و العیاشی[۳] فی تفسیریهما، و الکلینی فی الکافی[۴]، و المفید فی الأمالی[۵] بأسانیدهم عن سوید بن غفلة، عن أمیر المؤمنین (ع)، قال: « إنّ ابن آدم إذا کان فی آخر یوم من أیام الدنیا، و أول یوم من أیام الآخرة، مَثُلَ لَهُ أهلُه و ماله و ولده و عمله، فیلتفت إلی ماله فیقول: و الله! إنی کنت لکم لمحبا، و إنی کنت لکم لکحاکیا، فماذا عندکم؟ فیقولون :نؤدّیک إلی حفرتک و نواریک فیها، ثم یلتفت إلی عمله فیقول: و الله! إنی کنت فیک لزاهدا، و إنک کنت علیّ لثقیلا فماذا عندک؟ فیقول: أنا قرینک فی قبرک، و یوم حشرک، حتی أعرض أنا و أنت علی ربک، فإن کان لله ولیاً أتاه أطیب الناس ریحاً، و أحسنهم منظراً، و أزینهم ریاشاً، فیقول: أبشر بروح من الله، و ریحان، و جنة و نعیم، قد قدمت خیر مقدم، فیقول: من أنت ؟ فیقول: أنا عملُک الصالح ارتحلُ من الدنیا إلی الجنة، و أنه لیعرف غاسله و یناشد حامله أن یعجّله، فإذا أدخل قبره أتاه ملکان، و هما فتانا القبر، یجرّان أشعارهما، و یبحتان الأرض بأنیابهما، و أصواتهما کالرعد العاصف، و أبصارهما کالبرق الخاطف فیقولان له: من ربک، و من نبیک، و ما دینک؟ فیقول: الله ربی، و محمد نبیی، و الإسلام دینی. فیقولان له: ثبّتک الله فیما تحبّ و ترضی، و هو قال الله:

« یثبّت الله الذین آمنوا بالقول الثابت فی الحیاة الدنیا »[۶] الآیة،

فیفسحان له فی قبره و مدّ بصره، و یفتحان له باباً إلی الجنة و یقولان: نم قریر العین نوم الشاب الناعم، و هو قوله:

« أصحاب الجنة خیر مستقراً و أحسن مقیلاً »[۷] ».

---

[۱]– سورة غافر الآیتان : ۷۱ و ۷۱.

[۲] – تفسیر القمّی : ۳۹۹/۱.

[۳] – تفسیر العیّاشی : ۲۴۴/۲، الحدیث ۲۰.

[۴] – الکافی: ۲۲۱/۳، الباب ۱۵۸، أن المیت یمثّل له، الحدیث ۱.

[۵] – لم نعثر علیه فی أمالی المفید، راجع ءمالی الطوسی: ۳۴۷، المجلس الثانی عشر، الحدیث ۷۱۹. وسائل الشیعة: ۱۰۵/۱۶، باب ۱۰۰ من أبواب جهاد النفس، الحدیث ۱.

[۶]– سورة إبراهیم الآیة : ۲۷.

[۷]– سورة الفرقان الآیة : ۲۴.

قال: « و إن كان لربه عدواً، فإنه يأتيه أقبح خلق الله رياشاً، و أنتنه ريحاً، فيقول له: أبشر بنزل من حميم، و تصلية جحيم، و أنه ليعرف غاسله، و يناشد حامله أن يحبسه، فإذا دخل قبره أتياه ممتحنا القبر فألقيا عنه أكفاته ثم قالا له: من ربک، و من نبيک، و ما دينک؟ فيقول: لا أدرى. فيقولان له: ما دريت و لا هديت، فيضربانه بمرزبة ضربة ما خلق الله دابةً إلا و تذعر بها، ما خلا الثقلان. ثم يفتحان له باباً إلى النار، ثم يقولان له: نم بشر حال، فهو من الضيق مثل ما فيه القنا من الزجّ، حتى أنّ دماغه يخرج من بين ظفره و لحمه، و يسلط الله عليه حيات الأرض و عقاربها و هَوَامَها، فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره، و أنه ليتمنّى قيام الساعة مما هو هو فيه من الشر ».-الخبر.

أقول: قوله (ع): « و هو قول الله:

« يثبّت الله » الخ،

يشير إلى قوله سبحانه:

« ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة أصلها ثابت و فرعها فى السماء * تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها و يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثّت من فوق الأرض مالها من قرار * يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا و فى الآخرة و يضل الله الظالمين و يفعل الله ما يشاء » [1].

فقد بيّن سبحانه أن من الكلمات ما هى ثابتة الأصل قارّة، تفيد آثارها فى جميع الأحوال، و وصفها بالطيب، و قد ذكر فى موضع آخر أنها تصعد إليه و يرفعها العمل الصالح حتى تصل إلى السماء، فقال سبحانه:

« من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً » [2].

ثم بيّن الطريق إليها، فقال:

« إليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه » [3].

ثم بيّن سبحانه أن هذه الكلمة الطيبة، الثابتة الأصل، تثبّت الذين آمنوا به فى الحياة الدنيا و فى الآخرة. و القول يتّصف بالثبات و إفادته، باعتبار الاعتقاد و النيّة، ففى الآخرة مورد يثبت فيه الإنسان أو يضلّ بالقول الثابت و عدمه، و إذ ليس هناک اختيار و استواء لطرفى السعادة و الشقاوة، فثباته و تثبيته إنما هو بالسؤال، و

---

[1]- سورة إبراهيم الآيات : ٢٤-٢٧.

[2]- سورة فاطر الآية : ١٠.

[3]- سورة فاطر الاية : ١٠.

هو واضح عند التدبر، و قد أخبر سبحانه أنّ هذا القول الثابت و الشجرة الطيبة تؤتى أكلها و منافعها كل حين بإذن ربها، فالآية تدل على وقوع الانتفاع به فى جميع الأحوال و كل المواقف، ففى الجميع سؤال، و فى الآية الشريفة مزايا معان أخَر.

و يمكن أن يستشمّ من تمسّكه (ع) بالآية، أنه (ع) جعل البرزخ من تتمّة الحياة الدنيا، و هو كذلک بوجه.

و قوله (ع): و هو قوله: « **أصحاب الجنة...** » الخ، يشير إلى قوله سبحانه:

« **و قال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل عينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم و عتوا عتوّاً كبيراً ❊ يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين و يقولون حجراً محجوراً ❊ و قدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ❊ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً و أحسن مقيلاً** » [1].

و الآيات فى البرزخ، هى من أصرح الآيات فيه، و المقيل هو النوم للقيلولة، و من المعلوم أن لا نوم فى جنّة القيامة، إلا أنّ البرزخ و إنْ لم يكن فيه شىء من منامات الدنيا، لكنه بالنسبة إلى القيامة نوم بالقياس إلى اليقظة، و لذلک وصف سبحانه الناس بالقيام للساعة.

و لذلک وصف (ع) الحال، بأنه يفتح للميت باب إلى الجنة و يقال له: نم قرير العين، أو باب إلى النار، و يقال له : نم بشرّ حال. و هذا المعنى كثير الورود فى الأخبار، فلم يصرّح خبر بوروده الجنة، بل الجميع ناطقة أنه يفتح له باب إلى الجنة، و يرى منزله فيها، و يدخل عليه منها الروح، و يقال له : نم قرير العين، ثم نومة العروس، و قد مرّ الحديث عن الباقر (ع) حيث سُئل: ما الموت؟ فقال: « **هو النوم الذى يأتيكم كل ليلة، إلا أنه طويل مدته، لا يتنبه منه إلا يوم القيامة** »[2].

فما البرزخ إلّا مثال للقيامة، و إليه التلميح اللطيف بقوله (ع) -كما فى عدة أخبار أخر أيضاً-: « **ثم يفسح له فى قبره مد بصره...** » الخ.

فما المثال إلا القدر الذى يفهم من الممثل فما بعد مدّ البصر شىء، و قوله سبحانه:

« **يوم يرون الملائكة لا بشرى...** » الآية ،

يراد به أول يوم يرونهم، هو بقرينة قولهم:

« **لولا أنزل علينا الملائكة** » الآية ،

و هو البرزخ، و فيه البشرى و اللابُشرى.

---

[1]- سورة الفرقان الآيات : ٢١-٢٤.

[2]- المصدر المتقدّم : ٢٨٩،الحديث۴.

و اعلم أن الذى تُشعِرُ به الآية هو: السؤال عن المؤمنين و الظالمين. و أما المستضعفون و المتوسطون فمسكوت عنهم، و هو الذى يتحصل من الروايات، ففى الكافى: عن أبى بكر الحضرمى قال: قال أبو عبدالله (ع): « **لا يسأل فى القبر إلا من محضَ الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، و الآخرون يلهون عنهم**» [1].

أقول: و الأخبار عنهم (ع) فى هذا المعنى مستفيضة متكاثرة .

و فى تفسير القمّى مسنداً عن ضريس الكناسى، عن أبى جعفر (ع)، قال: قلت له: جعلت فداك، ما حال الموحدين المقرّين بنبوّة محمد من المسلمين المذنبين الذين يموتون و ليس لهم إمام، و لايعرفون ولايتكم؟ فقال: « **أما هؤلاء فإنهم فى حفرهم لا يخرجون منها، فمن كان له عمل صالح، و لم يظهر منه عداوة، فإنه يخدّ له خدّا إلى الجنة التى خلقها الله بالمغرب، فيدخل عليه الروح فى حفرته إلى يوم القيامة، حتى يلقى الله فيحاسبه بحسناته و سيئاته،فأما الجنة، و أما إلى النار، فهؤلاء الموقوفون لأمر الله** »، قال: « **و كذلک يفعل بالمستضعفين، و البله، و الأطفال، و أولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم** »[2] . الخبر .

أقول: يشير (ع) بقوله: « **فهؤلاء الموقوفون** »

إلى قوله تعالى:

« **و آخرون مرجون لأمر الله إما يعذّبهم و إما يتوب عليهم و الله عليم حكيم** » [3] .

و بالجملة: فغير المستضعفين، و من يلحق بهم، مسؤولون ثم منعّمون أو معذّبون بأعمالهم.

روى المفيد فى الأمالى عن الصادق (ع) –فى حدبث– قال: « **فإذا قبضه الله إليه صيَّر تلک الروح إلى الجنة فى صورة كصورته فى الدنيا، فيأكلون و يشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلک الصورة التى كانت فى الدنيا** » [4].

و فى الكافى: عن أبى ولّاد الحنّاط عن الصادق (ع)، قال: قلت له: جعلت فداک، يروون أنّ أرواح المؤمنين فى حواصل طيور خضر حول العرش؟ فقال: « **لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه فى حوصلة طير، لكن فى أبدان كأبدانهم** » [5].

---

[1]– الكافى: ۲۲۴/۳، الباب ۱۵۹، الحديث ۱.

[2]– تفسير القمى : ۲۶۴/۲.

[3]– سورة التوبة الآية : ۱۰۶.

[4]– لم نعثر عليه فى أمالى المفيد، راجع: أمالى الطوسى:۴۱۸، المجلس ۱۴، الحديث ۹۴۲.

[5]– الكافى: ۲۳۱/۳، الباب ۱۶۲، الحديث ۱.

و فيه أيضاً عن الصادق (ع): « **أنّ الأرواح فى صفة الأجساد فى شجر فى الجنة تعارف و تساؤل، فإذا قدمت الروح على الأرواح تقول: دعوها فإنها أقبلت من هول عظيم، ثم يسألونها ما فعل فلان و ما فعل فلان؟ فإن قالت لهم: تركته حيّاً ارتجوه، و إن قالت لهم: قد هلک، قالوا: قد هوى. هوى** ».[1] –الخبر .

و هذا المعنى وارد فى أخبار كثيرة، لكنّها بأجمعها فى المؤمنين، و أما حال الكافرين فسيأتى.

و فى الكافى: عن الصادق (ع)، قال: « **إنّ المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحبّ، و يستر عنه ما يكره، و أنّ الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره، و يستر عنه ما يحب** »[2] .

و فيه –أيضاً–:عن الصادق (ع)، قال: « **ما من مؤمن و لا كافر إلا و هو يأتى أهله عند زوال الشمس، فإذا رأى أهله يعملون بالصالحات حمد الله على ذلک، و إذا رأى الكافر أهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسرة** » [3].

و فيه –أيضاً–: عن إسحاق بن عمّار، عن أبى الحسن الأول (ع)، قال: سألته عن الميت يزور أهله؟ قال: « **نعم** » فقلت : فى كم يزور؟ قال: « **فى الجمعة، و فى الشهر و فى السنة، على قدر منزلته** » فقلت : فى أيّة صورة يأتيهم؟ قال: « **فى صورة طائر لطيف، يسقط على جدرهم و يشرف عليهم، فإذا رآهم بخير فرح، و إن رآهم بشرّ و حاجة حزن واغتمّ** »[4] .

أقول: و الروايات فى هذه المعانى كثيرة مرويّة، و أما تصوّره بصورة الطائر فهو تمثّل.

و يمكن أن يستشعر هذا المعنى بقوله سبحانه:

« **و لا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما أتاهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم و لا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله و فضل و أن الله لا يضيع أجر المؤمنين** » [5] .

فالاستبشار، تلقّى البشارة و الفرح بها، و قوله:

« **يستبشرون بنعمة** » الآية .

---

[1] – الكافى: ۲۳۱/۳، الباب ۱۶۲، الحديث ۳.

[2] – المصدر امتقدم:۲۲۰، الباب ۱۵۷، الحديث ۱.

[3] – المصدر المتقدم: الحديث ۲.

[4] – المصدر امتقدم: الحديث ۳.

[5] – سورة آل عمران الآيات : ۱۶۹–۱۷۱.

بيان لقوله:

« **و يستبشرون بالذين لم يلحقوا** » الآية .

فالآيات تفيد أنهم يستبشرون و يفرحون بما يتلقون ممن خلفهم من النعمة و الفضل، و انتفاء الخوف و الحزن عنهم و هو الولاية، و أنهم يعملون الصالحات، و الله لا يضيع أجر المؤمنين، فيحفظ حسناتهم و يعفو عنهم سيئاتهم، و يفيض عليهم بركاته، فيرون منه ذلک کله، فافهم.

و قريب منه قوله سبحانه:

« **و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون و ستردّون إلى عالم الغيب و الشهادة فينبّئكم بما كنتم تعملون** » [1] .

و فى الكافى، عن أبى بصير، عن الصادق (ع)، –فى حديث سؤال الملكين– قال: « **فإذا كان كافراً قالا: من هذا الرجل الذى خرج بين ظهرانيكم؟ فيقول: لا أدرى، فيخليان بينه و بين الشيطان** »[2] –الخبر .

و روى هذا المعنى أيضاً فى حديث آخر، عن بشير الدهّان[3]، و رواه العيّاشى فى تفسيره[4] عن محمد بن مسلم، عن الباقر (ع)، و هو قوله سبحانه:

« **و من يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين** »

إلى أن قال تعالى:

« **حتى إذا جاءنا قال يا ليت بينى و بينک بعد المشرقين فبئس القرين** » [5] .

و اعلم أن البرزخ عالم أوسع من عالم الدنيا؛ لكون المثال أوسع و أوسط من الجسم المادى، و قد عرفت معنى المادة، فالوارد من تفصيله بلسان الكتاب و السنَّة كليات واردة فى سبيل الأنموذج دون الاستيفاء.

و اعلم أنّ تعيين الأرض فى الأخبار محلاً لجنَّة البرزخ و ناره، و مجيء الأموات لزيارة أهليهم، و غير ذلک، منزل على عدم انقطاع العلقة المادية بكمالها، و هو كذلک كما مرّ.

---

[1]– سورة التوبة الآية : ١٠٥.

[2]– الكافى ٢٢٥/٣، الباب ١٥٩، الحديث ١٠.

[3]– الكافى: ٢٢٥/٣، الباب ١٥٩، الحديث ٧.

[4]– تفسير العِاشى: ٢٤٤/٢، الحديث ١٩.

[5]– سورة الزخرف الآيات : ٣٦–٣٨.

و قد ورد فی أخبار، أنّ جنة البرزخ فی وادی السلام[1]، و أنّا نار البرزخ فی وادی برهوت[2]، و أنّ صخرة بیت المقدس مجتمع

الأرواح[3]، و فی روایات أخَر: مشاهدة الأئمة للأرواح فی أمکنة مختلفة، و روی ذلک فی کرامات الصالحین بما هو فوق حد الحصر، و کل ذلک أمور جائزة تکشف عن علقة(لشرافة) مکان أو زمان أو حال.

[1] – الکافی: ۲۳۰/۳، باب ۱۶۱ فی أرواح المؤمنین، الحدیث ۱. تهذیب الأحکام: ۴۷۱/۱، الباب ۲۳ فی تلقین المحترضین، الحدیث ۱۵۲۵.

[2] – بحار الأنوار:۲۸۷/۶، وانظر الکافی: ۲۳۳/۳، الباب ۱۶۳ فی أرواح الکفار، الحدیث ۳.

[3] – تحف العقول: ۱۷۳، جواب الإمام الحسین (ع) عن مسائل سأله عنها ملک الروم. الفصول المهمة فی أصول الأئمة: ۳۳۶۱۱، الحدیث ۴۱۳.

الفصل الثالث

فی نفخ الصور

قال سبحانه:

« **و يوم ينفخ فی الصور ففزع من فی السموات و من فی الأرض إلا من شاء الله** » [1] .

و قال سبحانه:

« **و نفخ فی الصورفصعق من فی السموات و من فی الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون** » [2] .

و قد ورد فی رواية عن السجاد (ع): « **أنّ النفخات ثلاث: نفخة الفزع، و نفخة الصعقة، و نفخة الاحياء** »[3]، و يمكن تنزيل ذلک إلى ما سيأتی من معنى قوله سبحانه:

« **ما ينظرون إلّا صيحة واحدة تأخذهم و هم يخصّمون** » [4] الآية، و الله أعلم.

فالنفخة نفختان: نفخة للإماتة و نفخة للإحياء، و لم يرد فی كلامه سبحانه ما يمكن أن يفسر به معنى الصور من حيث اللفظ، و هو فی اللغة: القرن[5]، وربما كان يثقب و ينفخ فيه، و لا ورد فی النفخة الأولى إلّا الآيتان فی سورة النمل و الزمر، إلّا أنّه سبحانه عبَّر عن معناه فی مواضع أُخر بالصيحة و بالزجرة، و هی الصيحة، و بالصاخّة و هی الصيحة الشديدة، و بالنقر. قال سبحانه:

« **إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدنيا محضرون** » [6] .

---

[1]– سورة النمل الآية : ۸۷.

[2]– سورة الزمر الآية : ۶۸.

[3]– بحارأنوار:۳۱۸/۶.

[4]– سورة يس الآية : ۴۹.

[5] – لسان العرب: ۴۷۵/۴، مادة صور.

[6]– سورة يس الآية : ۵۳.

و قال سبحانه:

« **فإنما هى زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة** » [1] .

و قال سبحانه:

« **فإذا جاءت الصاخّة * يوم يفرّ المرء من أخيه** » [2] الآيات .

و قال سبحانه:

« **فإذا نقر فى الناقور * فذلک يومئذ يوم عسير * على الكافرين غير يسير** » [3] .

و قال سبحانه:

« **و استمع يوم يناد المناد من مكان قريب * يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلک يوم الخروج** » [4] .

فمن هنا يعلم أنّ مثل الصور مع نفختيه مثل ما يصنع فى العساكر المعدّة للحضور إلى غاية، فينفخ فى الصور مرّة أن اسكتوا و تهيّؤا للحركة، و ينفخ ثانية أن قوموا و ارتحلوا و اقصدوا غايتكم. فالصور موجود حامل لصيحتين: صيحة مميتة و صيحة محيية، (و هو ذان)لم نجد له تفسيراً وافياً من الكتاب، إلا أنه معبّر بلفظة فيه فى اثنى عشر مورداً أو أزيد، فلا شک هو ذو معنى أصيل محفوظ، و قد عبّر عنه بالنداء أيضاً و لا يكون النداء إلا ذا معنى مقصود. و وصفهم سبحانه بسمع الصيحة بالحق، و لا يسمع إلا الموجود الحى، و قد أخبر بصعقتهم فليس إلا أن اتّصافهم بالحياة و الموجود عين استماعهم و سمعهم؛ إذ إسماعهم للصيحة المحيية لهم بعد اتّصافهم بالحياة غير معقول، فليس إلّا كلمة الهية بمييتهم و يحييهم، و قد قال سبحانه:

« **هو الذى يحيى و يميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون** » [5] .

فالنفختان كلمتان إلهيّتان: كلمة مميتة و كلمة محيية، لكنه سبحانه لم يعبر بالموت، و إنما عبر بالصعقة، و لعل ذلک لأن الموت يطلق على خروج الروح من البدن، و قد شمل حكم النفخة من فى السموات و الأرض و فيها الملائكة و الأرواح، و فى قوله سبحانه فى وصف أهل الجنة:

« **لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى** » [6] ،

---

[1]- سورة النازعات الآيتان : ١٣ و ١٤.

[2]- سورة عبس الآيتان : ٣٣ و ٣٤.

[3]- سورة المدثر الآيات : ٨-١٠.

[4]- سورة ق الآيتان : ٤١ و ٤٢.

[5]- سورة غافر الآية : ۶۸.

[6]- سورة الدخان الآية : ۵۶.

تلميح إلى ذلک .

نعم، وقع فی قوله سبحانه حکایة عن قول أهل النار:

« **قالوا ربنا أمتّنا اثنتین و أحییتنا اثنتین فاعترفنا بذنوبنا فهل إلی خروج من سبیل** » [1]،

لو لم تکن التثنیة للتکرار أو لتغلیب إطلاق الموت علی صعقة النفخة. ثم أنه سبحان قال:

« **و من ورائهم برزخ إلی یوم یبعثون** » [2].

فأفاد شمول حکم البرزخ علی الجمیع، فالمراد بمن فی الأرض فی آیتی الفزع و الصعقة لیس من علی ظهر الأرض ممن هم فی قید الحیاة الدنیا قبل البرزخ، بل الذین قال فیهم سبحانه:

« **و یوم تقوم الساعة یقسم المجرمون ما لبثوا غیر ساعة کذلک کانوا یؤفکون * و قال الذین أوتوا العلم و الإیمان لقد لبثتم فی کتاب الله إلی یوم البعث** » [3] .

و قال سبحانه:

« **قال کم لبثتم فی الأرض عدد سنین * قالوا لبثنا یوماً أو بعض یوم فسأل العادین * قال إن لبثتم إلا قلیلاً لو أنکم کنتم تعلمون** » [4] .

و قال سبحانه:

« **إن الذین کذبوا بآیاتنا و استکبروا عنها لا تفتّح لهم أبواب السماء و لا یدخلون الجنة** » [5] .

إلی أن قال:

« **و بینهما حجاب** » [6]،

فهؤلاء أهل الأرض و إن حلّوا البرزخ، و أما من فی السموات فهم الملائکة و أرواح السعداء، و قد قال سبحانه:

« **و فی السماء رزقکم و ما توعدون** » [7] .

---

[1]- سورة غافر الآیة : ۱۱.

[2]- سورة المؤمنون الآیة : ۱۰۰.

[3]- سورة الروم الآیتان : ۵۵ و ۵۶.

[4]- سورة المؤمنون الآیات : ۱۱۲-۱۱۴.

[5]- سورة الأعراف الآیة : ۴۰.

[6]- سورة الأعراف الآیة : ۴۶.

[7]- سورة الذاریات الآیة : ۲۲.

و قال:

« **لكم ميعاد يوم** » [1] .

و قال:

« **وعد الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات لهم مغفرة و أجر عظيم** » [2] الآية .

و قال:

« **و أجل مسمى عنده** » [3] .

و قال:

« **إليه يصعد الكلم الطيب** » [4] .

و قال:

« **يرفع الله الذين آمنوا** » [5] .

و قال:

« **تعرج الملائكة و الروح إليه** » [6] .

إلى غير ذلک من الآيات.

و على هذا فالآيات الدالة على وقوع الصيحة على أهل الأرض و فناء الدنيا و خرابها منزلة على انطواء نشأة الدنيا و انقراضها و أهلها، كقوله تعالى:

« **ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم و هم يخصمون * فلا يستطيعون توصية و لا إلى أهلهم يرجعون** » [7] .

و قوله سبحانه:

« **كل نفس ذائقة الموت** » [1] .

---

[1]- سورة سبأ الآية : ۳۰.

[2]- سورة المائدة الآية : ۹.

[3]- سورة الأنعام الآية : ۲.

[4]- سورة فاطر الآية : ۱۰.

[5]- سورة المجادلة الآية : ۱۱.

[6]- سورة المعارج الآية : ۴.

[7]- سورة يس الآيتان : ۴۹ و ۵۰.

و قال سبحانه:

« **كل من عليها فان** » [۲] .

فهناک صيحة ينطوى بها بساط الدنيا و ينقرض أهلها، و نفخ يموت به أهل البرزخ، و نفخ تقوم به القيامة و يبعث به الناس. نعم، قوله سبحانه:

« **ما خلقنا السموات و الأرض و ما بينهما إلا بالحق و أجل مسمّى** » [۳] .

و قوله:

« **و أجل مسمى عنده** » [۴] .

قد جمع الجميع تحت الأجل، فلا موت حتف أنفساً أو قتلاً، و لا بصيحة و لا بنفخ صور إلّا بأجل.

و أما قوله سبحانه فى آيتى النفخ: « **إلّا من شاء الله** » فالاستثناء الذى فى قوله سبحانه:

« **و يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات و من فى الأرض إلا من شاء الله** » [۵] .

فيفسره ما بعده من الآيات، و هى:

« **من جاء بالحسنة فله خير منها و هم من فزع يومئذ آمنون * و من جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون** » [۶] .

لكن الحسنة أريدت بها المطلقة لمكان الأمن، و قرينة مقابلتها بالسيئة و الايعاد عليها، فالمختلط عمله منهما لا يأمن الفزع لمكان السيئة، فالأمن من الفزع طيب ذاته و طيب عمله من السيئات، و قد عدّ سبحانه سيئات الأعمال خبائث، فقال:

« **و يجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله فژ جهنم** » [۷] .

و قال أيضاً:

---

[۱]– سورة آل عمران الآية : ۱۸۵.

[۲]– سورة الرحمن الآية : ۲۶.

[۳]– سورة الأحقاف الآية : ۳.

[۴]– سورة الأنعام الآية : ۲.

[۵]– سورة النمل الآية : ۸۷.

[۶]– سورة النمل الآيتان : ۸۹ و ۹۰.

[۷]– سورة الأنفال الآية : ۳۷.

« **الخبيثات للخبيثين و الخبيثون للخبيثات و الطيبات للطيبين و الطيبون للطيبات** » [1] .

و قد عدّ من الرجس الكفر و النفاق و الشرک فقال:

« **و أما الذين فی قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلی رجسهم و ماتوا و هم کافرون** » [2] .

وقال:

« **إنما المشرکون نجس** » [3] .

و عد من الشرک بعض مراتب الإيمان فقال:

« **و ما يؤمن أکثرهم بالله إلا و هم مشرکون** » [4] .

فطيب الذات من الشرک أن لا يؤمن بغيره سبحانه، و لا يطمئن إلا إليه، أی لا يری له سبحانه شريکاً فی وجوده و أوصافه و أفعاله، و هو الولاية، و إليه يرجع معنی قوله سبحانه:

« **الذين تتوفاهم الملائکة طيبين** » [5] ،

أی من حيث الذات بالولاية:

« **يقولون سلام عليکم** » [6] .

و السلام هو الأمن.

فقد ظهر بما وجّهنا به معنی الآية أنّ الحسنة فيها هی الولاية، و به يشعر قوله سبحانه:

« **قل لا اسألکم عليه أجراً إلا المودة فی القربی و من يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شکور** » [7].

و فی تفسير القمّی فی قوله تعالی:

« **من جاء بالحسنة فله خير منها** » [8].

---

[1]– سورة النور الآية : ۲۶.

[2]– سورة التوبة الآية : ۱۲۵.

[3]– سورة التوبة الآية : ۲۸.

[4]– سورة يوسف الآية : ۱۰۶.

[5]– سورة النحل الآية : ۳۲.

[6]– سورة النحل الآية : ۳۲.

[7]– سورة الشوری الآية : ۲۳.

[8]– سورة القصص الآية : ۸۴.

قال (ع): « **الحسنة و الله ولاية أمير المؤمنين، و السيئة و الله اتّباع اعدائه** »[1] .

و فى الكافى: عن الصادق، عن أبيه، عن أمير المؤمنين (ع)، قال (ع): « **الحسنة معرفة الولاية و حبّنا أهل البيت، و السيئة إنكار الولاية و بغضنا أهل البيت** » ثم قرأ الآية [2]. (الحديث) .

و بما مرّ من البيان يتبيّن الحال فى الآية الأخرى، و هى قوله سبحانه:

« **و نفخ فى الصور فصعق من فى السموات و من فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون** » [3].

فظاهر الآية أن الذين صعقوا من النفخة هم الذين قاموا لله يوم يقوم الناس لرب العالمين، و هم المحضرون لقوله سبحانه:

« **إن كانت إلّا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدنيا محضرون** » [4].

و قد استثنى سبحانه من المحضرين، عباده المخلصين إذ قال :

« **فإنهم لمحضرون * عباد الله المخلصين** » [5].

ثم عرّفهم سبحانه بقوله حكاية عن إبليس حين رُجم:

« **قال فبعزتک لاغوينّهم أجمعين * إلا عبادک منهم المخلصين** » [6] .

فبيّن أن لا سبيل للشيطان إليهم، و لا يتحقّق إغواؤه فيهم، و قد ذكر أيضاً أنّ إغواءه إنما هو بالوعد، حيث قال سبحانه:

« **و قال الشيطان لمّا قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق و وعدتكم فأخلفتكم** » [7].

إلى أن قال:

« **فلا تلومونى و لوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم و ما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم** » [1] .

---

[1]- تفسير القمى : ۱۳۲/۲.

[2]- الكافى: ۲۰۷/۱، الباب ۶۴، الحديث ۱۴.

[3]- سورة الزمر الآية : ۶۸.

[4]- سورة يس الآية : ۵۳.

[5]- سورة الصافات : الآيتان ۱۲۷ و ۱۲۸.

[6]- سورة ص الآيتان : ۸۲ و ۸۳.

[7]- سورة إبراهيم الآية : ۲۲.

و استنتج من ذلک کما ترى أنّ اللوم راجع إلى أنفسهم، و أنّ الذنب راجع إلى الشرک، و أنهم بمقتضى شقائهم الذاتى ظالمون. و أنّ الظالمين لهم عذاب أليم، فالمخلصون هم المخلصون عن الشرک بذاتهم لا يرون لغيره سبحانه وجوداً، و لا يحسّون لغيره اسماً و لا رسماً، و لا يملكون لأنفسكم نفعاً و لا ضراً و لا موتاً و لا حياة و لا نشوراً، و هذا هو مفهوم الولاية.

و بالجملة: فأولياء الله سبحانه هم المستثنون من حكم الصعقة و الفزع لا يموتون بالنفخة حين يموت بها مَن فى السموات و الأرض، و قد قال سبحانه:

« **يوم نطوى السماء كطىّ السجل للكتب** » [٢].

و قال:

« **و السموات مطويّات بيمينه** » [٣].

فبيّن سبحانه طيها و بلوغها أجلها يومئذ بمن فيها، و بذلک يظهر أنّ المخلصين المستثنين ليسوا فيها، بل مقامهم فيما وراء السموات و الأرض، و هم مع ذلک فى الجميع. قال سبحانه:

« **كل شىء هالک إلّا وجهه** » [٤].

فهم من الوجه.

و قال سبحانه:

« **فأينما تولّوا فثمّ وجه الله** » [٥]،

فهم المحيطون بالعالم بإحاطته سبحانه، و قد بيّنه سبحانه بوجه آخر بعد ما بيَّن أنّ أهل الجنة فى السماء، و أهل النار فى النار بقوله:

« **و بينهما حجاب و على الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم** » [٦].

و سيأتى كلام فيه فى غير هذا المقام.

---

[١]– سورة إبراهيم الآية : ٢٢.

[٢]– سورة الأنبياء الآية : ١٠۴.

[٣]– سورة الزمر الآية : ۶٧.

[۴]– سورة القصص الآية : ٨٨.

[۵]– سورة البقرة الآية : ١١۵.

[۶]– سورة الأعراف الآية : ۴۶.

و من هنا يظهر أنهم فى فراغ و أمن من سائر الأمور الجارية و الشدائد و الأهوال الواقعة بين النفختين. قال سبحانه :

« **فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة * و حملت الأرض و الجبال فدكّتا دكّة واحدة * فيومئذ وقعت الواقعة** » [1].

والدكّ هو الدقّ. تقول: دككت الشيء: إذا ضربته و كسرته حتى تسوى به الأرض.

و قال تعالى:

« **يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة** » [2].

و قال سبحانه:

« **يوم ترجف الأرض و الجبال و كانت الجبال كثيباً مهيلاً** » [3].

و قال سبحان :

« **إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت و تضع كل ذات حمل حملها و ترى الناس سكارى و ما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** » [4].

و قال سبحانه:

« **و إذا الجبال سيرت** » [5].

و قال:

« **و تكون الجبال كالعهن المنفوش** » [6].

و قال:

« **فإذا برق البصر * و خسف القمر * و جمع الشمس و القمر** » [7].

و قال:

---

[1]- سورة الحاقة الآية : ١٣-١٥.

[2]- سورة النازعات الآيتان : ٦ و ٧.

[3]- سورة المزمل الآية : ١٤.

[4]- سورة الحج الآيتان : ١ و ٢.

[5]- سورة التكوير الآية : ٣.

[6]- سورة القارعة الآية : ٥.

[7]- سورة القيامة الآيات : ٧-٩.

« **إذا الشمس كوّرت** » [1] .

و قال:

« **و إذا الكواكب انتثرت** » [2].

و قال :

« **و إذا العشار عطّلت** » [3].

و قال:

« **و إذا البحار سجّرت** » [4].

و هذه الآيات بظاهرها قريبة الإنطباق بأشراط الساعة و مقدمات القيامة و خراب الدنيا و إنقراض أهلها.

و اعلم أن هذا هو المصحّح لعدّ الساعة تالية للدنيا و بعدها، كما أنّ الموت هو المصحّح لعدّ البرزخ بعد الدنيا، و إلا فكما أن المثال محيط بعالم المادة و هو الدنيا، فكذلک نشأة البعث محيطة بالدنيا و البرزخ على ما يعطيه البرهان السابق و اللاحق، و مع الغضّ عن الإحاطة أيضاً، فانطواء بساط الزمان و انقطاع الحركات بين النشأتين يوجب انقطاع النسبة الزمانية، و يبطل بذلک قبل و بعد.

و اعلم أن هناک آيات أخر قريبة السياق من الآيات المذكورة آنفاً، غير أنها تعطى نحواً آخر من المعنى.

قال سبحانه:

« **و سيّرت الجبال فكانت سراباً** » [5] .

فإنّ تسيير الجبال بنقل أمكنتها و جعلها كثيبا مهيلا و كالعهن المنفوش لا ينتهى إلى كونها سرابا، وذلک ظاهر.

و قال سبحانه: « **و ترى الجبال تحسبها جامدة و هى تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذى اتقن كل شىء** » [6] .

فإنّ ظرف « ترى » إما حال الخطاب أو حال النفخ، كما يؤيّده وقوع الاية بعد آية النفخ، فتنطبق على زلزلة الساعة، و هى التى بها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، و تضع كل ذات حمل حملها، و ترى الناس سكارى، و هى لا تلائم قوله تعالى:

---

[1]– سورة التكوير الآية : ١.

[2]– سورة الانفطار الآية : ٢.

[3]– سورة التكوير الآية : ٤.

[4]– سورة التكوير الآية : ٦.

[5]– سورة النبأ الآية : ٢٠.

[6]– سورة النمل الآية : ٨٨.

« **تحسبها جامدة و هی تمرّ مرّ السحاب** » .

فإنها تدلّ على أن الجبال حينئذ عى ظاهر كيفيتها الجسمانية من الأبهة و العظمة و الاستقرار و التمكن، مع أنها من غير هذه الحيثية غير مستقرة، بل سارية.

و من الدليل عليه قوله:

« **صنع الله الذى اتقن كل شیء** »[1].

فإنه لا يلائم فناء الجبال و اندكاكها، بل يشعر بأنها فى صنعها متقنة غير هيّنة الفساد و لا يسيرة الانفكاك، فهو سير لا ينافى إستحكام أساسها و اتقان وجودها فى محله، بل اندكاك فى عين الإستحكام، فكونها سراباً يجتمع مع اتقان صنعها و بقاء هويتها و وجودها.

[1]– سورة النمل الآية : ۸۸.

الفصل الرابع

فی یوم القیامة

قال تعالی:

« **یوم هم بارزون لا یخفی علی الله منهم شیء لمن الملک الیوم لله الواحد القهار** » [1] .

و قال:

« **یوم تولّون مدبرین ما لکم من الله من عاصم** » [2] .

و قال:

« **ما لکم من ملجأ یومئذ و ما لکم من نکیر** » [3] .

و قال :

« **یوم لا یغنی مولی عن مولی شیئاً** » [4] .

و قال:

« **و لا یکتمون الله حدیثاً** » [5] .

و قال:

« **والأمر یومئذ لله** » [6] .

إلی غیر ذلک من الآیات.

و قد اشتملت علی وصف یوم القیامة بأوصاف غیر مختصة به ظاهراً، فإن الملک و القوة و الأمر لله دائماً، و الموجودات بارزة له غیر خافیة علیه، و لا عاصم و لا ملجأ منه سبحانه دائماً، لکنه سبحانه قال:

---

[1]- سورة غافر الآیة : ۱۶.

[2]- سورة غافر الآیة : ۳۳.

[3]- سورة الشوری الآیة : ۴۷.

[4]- سورة الدخان الآیة : ۴۱.

[5]- سورة النساء الآیة : ۴۲.

[6]- سورة الانفطار الآیة : ۱۹.

« **و لو یری الذین ظلموا إذ یرون العذاب أن القوة لله جمیعاً و أن الله شدید العذاب * إذ تبرأ الذین اتبعوا من الذین اتبعوا ورأوا العذاب و تقطّعت بهم الأسباب** » [1] .

فأخبر بتقطّع الأسباب، و إنقطاع الروابط یومئذ، فأفاد أن جمیع التأثیرات و الارتباطات التی بین الموجودات فی نظامها الموجود فی عالم الأجسام و الجسمانیات و ما یتلوه ستقطع و تزول فلا یؤثر شیء منها فی شیء، و لا یتأثر شیء عن شیء، و لا ینتفع و لا یستضرّ شیء بشیء، و لو کان الظرف ظرفها، و الیوم یومها لما تخلف شیء، من أحکامها و لم تزل عن مستقرها، إلا ببطلان الذوات و انقلاب المهیّات، و من المحال ذلک، و لا تبدیل لکلمات الله، فإذن المرفوع الزائل هو وجوداتها السرابیة، و هی وجوداتها القائمة بالحق سبحانه، الثابتة به، الباطلة فی أنفسها، فلا تبقی إلا نسبتها إلی الحق سبحانه، و تبطل بقیة النسب، و إذ هی باطلة فی نفسها فهو انکشاف بطلانها لا نفسه، و ظهور حقیقة الأمر و هو أن لا وجود إلا له سبحانه و لا تأثیر لغیره، فلا ملک إلا له و لا مالک إلا هو، و هو قوله سبحانه:

« **مالک یوم الدین** » [2] .

و قوله:

« **یوم لا تملک نفس لنفس شیئاً و الأمر یومئذ لله** » [3] .

و قوله:

« **لمن الملک الیوم لله الواحد القهار** » [4] .

و یشهد لما ذکرنا من إنکشاف بطلان الوجودات السرابیّة و الأسباب الظاهریة لا نفس بطلانها قوله تعالی: « **و لو تری إذ الظالمون فی غمرات الموت و الملائکة باسطوا أیدیهم أخرجوا أنفسکم** » إلی أن قال : « **لقد تقطع بینکم و ضل عنکم ما کنتم تزعمون** » [5] الآیات.

حیث ذکر بطلان الأسباب عند الموت مع أنها فی محلها لم تزل، و إنما هو انکشاف بطلانها.

---

[1]– سورة البقرة الآیتان : ۱۶۵ و ۱۶۶.

[2]– سورة الفاتحة الآیة : ۴.

[3]– سورة الانفطار الآیة : ۱۹.

[4]– سورة غافر الآیة : ۱۶.

[5]– سورة الأنعام الآیتان : ۹۳ و ۹۴.

و فی نهج البلاغة فی خطبة له (ع): « **و إن الله سبحانه، یعود بعد فناء الدنیا وحده لا شیء معه کما کان قبل ابتدائها، کذلک یکون بعد فنائها، بلا وقت و لا مکان، و لا حین و لا زمان. عدمت عند ذلک الآجال و الأوقات، و زالت السنون و الساعات. فلا شیء إلا الواحد القهار الذی إلیه مصیر جمیع الأمور** » [1] .

و فی الاحتجاج عن هشام بن الحکم فی خبر الزندیق فیما سأله عن الصادق (ع)، إلی أن قال: أیتلاشی الروح بعد خروجه من قالبه أم هو باق؟ « **بل هو باق إلی وقت ینفخ فی الصور، فعند ذلک تبطل الأشیاء فلا حس و لا محسوس، ثم أعیدت الأشیاء کما بدأها مدبّرها و ذلک بعد أربعمائة سنة لا خلق فیها، و ذلک بین النفختین** » [2].

و فی تفسیر القمی عن الصادق (ع) –فی حدیث– : « **ثم یقول الله عزوجل: « لمن الملک الیوم »؟، فیرد علی نفسه: « لله الواحد القهار » »**[3].

و فی التوحید عن أمیر المؤمنین (ع) –فی حدیث– : « **و یقول الله لمن الملک الیوم »؟ ثم تنطق أرواح أنبیائه و رسله و حججه فیقولون: « لله الواحد القهار » »** [4].

و فی تفسیر القمی عن السجاد (ع) –فی حدیث– قال: « **فعند ذلک ینادی الجبار بصورت جهوری یسمع فی أقطار السموات و الأرضین: « لمن الملک »؟ فلا یجیبه مجیب، فعند ذلک ینادی الجبار مجیباً لنفسه: « لله الواحد القهار** » [5]. الحدیث .

أقول: فانظر إلی بیاناتهم (ع)، و هم لسان واحد کیف جمعت بین فناء السموات و الأرض و تحقّقها و زوال السنین و الساعات و ثبوتها، و عدم مجیب لندائه سبحانه غیر نفسه، و وجود المجیب، ثم انظر إلی قوله سبحانه فی جوابه لنداء نفسه: « لله الواحد القهار »، و مکان الاسمین، و تدبر فی أطراف الکلام تعرف صحّة ما ذکرناه.

ثم إنه إذا زال الوجود المستقل عن الأشیاء و عادت الثبوتات إلی تحقّقات وهمیّة سرابیّة وبطلت عامة التسبیبات و التشبّثات، و هو قوله سبحانه:

---

[1]– نهج البلاغة: ۲۷۶، من خطبة له (ع) فی النوحید.

[2]– الإحتجاج: ۸۶/۲.

[3]– تفسیر القمی: ۲۶۰/۲.

[4]– التوحید: ۲۲۷، الباب ۳۲، الحدیث ۱.

[5]– تفسیر القمی: ۲۵۵/۲.

« ما لكم من الله من عاصم » [1].

و قوله:

« ما لكم من ملجإ يومئذ و ما لكم من نكير » [2].

و قوله:

« ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه » [3].

و قوله:

« يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً » [4].

و قوله:

« لا بيع فيه و لا خلال » [5].

و قوله:

« و لا تنفعها شفاعة » [6].

و قوله:

« ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون * من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً كذلک يضل الله الكافرين » [7].

و قولهم: « بل لم نكن ندعوا » الخ، يقولون: إنا قبل يوم القيامة لم ندع غير الله، و لم نعبد له شريكاً، فهو ظهور كونهم فى الدنيا مغرورين بسرابها و لعبها، و قد كان باطلاً بالحقيقة، فقال سبحانه:

« كذلک يضل الله الكافرين ».

و قريب منه قوله سبحانه:

« ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم و شركاءكم فزيّلنا بينهم » [1].

---

[1]- سورة غافر الآية : ٣٣.

[2]- سورة الشورى الآية : ۴٧.

[3]- سورة الحاقة الآيتان : ٢٨ و ٢٩.

[4]- سورة الدخان الآية : ۴١.

[5]- سورة إبراهيم الآية : ٣١.

[6]- سورة البقرة الآية : ١٢٣.

[7]- سورة غافر الآيتان : ٧٣ و ٧۴.

و قال:

« **شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون** » [۲] .

و قوله:

« **تبرأنا إليک ما كانوا إيانا يعبدون** » [۳] .

و مرجع الجميع إلى قوله سبحانه:

« **ما تعبدون من دونه إلا أسماء سمّيتموها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان** » [۴] .

و قوله:

« **ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون** » [۵] .

ثم إنه إذا بطلت الأسباب بينهم، و هى المراتب المترتّبة المقدّرة فى الوجود و التأثيرات التى بينها، ظهر حكم الباطن، و من المعلوم أن الظاهر ظاهر بالباطن، فاتّحد حينئذ الغيب و الشهادة؛ إذ كل شىء فهو فى نفسه و وجوده شهادة، و إنما الغيب معنى نسبى يتحقّق بفقدان شىء لشىء و غيبوبته عنه إما حسّاً أو غيره.

و بالجملة: بسبب ارتفاع الأسباب يرتفع كل حجاب يحجب شيئاً عن شىء، و هو قوله سبحانه:

« **يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شىء** » [۶] .

و قوله:

« **و برزوا لله جميعاً** » [۷] .

و قوله:

« **فكشفنا عنک غطاءک فبصرک اليوم حديد** » [۸] .

---

[۱]– سورة يونس الآية : ۲۸.

[۲]– سورة يونس الآية : ۲۸.

[۳]– سورة القصص الآية : ۶۳.

[۴]– سورة يوسف الآية : ۴۰.

[۵]– سورة الذاريات الآية : ۵۶.

[۶]– سورة غافر الآية : ۱۶.

[۷]– سورة إبراهيم الآية : ۲۱.

[۸]– سورة ق الآية : ۲۲.

و من هذا الباب قوله:

« **يوم تبلى السرائر** » [1] .

و قوله:

« **أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور * و حصّل ما فى الصدور * إن ربهم بهم يومئذ لخبير** » [2] .

و قوله:

« **يوم لا ينفع مال و لا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم** » [3] .

و يمكن أن ينزل على ما هاهنا ما ورد من الآيات و الأخبار فى بروز الأرض.

و فى الكافى عن الصادق (ع)فى قوله تعالى:

« **يوم لا ينفع** » [4] الآية،

قال: « **القلب السليم الذى يلقى ربه و ليس فيه أحد سواه** »، قال: « **و كل قلب فيه شرک أو شک فهو ساقط، و إنما أرادوا بالزهد فى الدنيا تفرغ قلوبهم للآخرة** » [5].

أقول: و قوله سبحانه:

« **كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** » [6] .

لا ينافى ما ذكرنا، فإنه كما سيجىء ينفى التشريف الذى يقع للمؤمنين و تصديق لما قضى به سبحانه أنّ الجزاء بالأعمال، و أن لكل نفس ما كسبت و عليها ما اكتسبت، و قد حجب هؤلاء أنفسهم فى الدنيا عنه سبحانه فلا بدّ من ظهور مصداقه يوم القيامة، و ذلک كقوله سبحانه:

« **يوم يكشف عن ساق و يدعون إلى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة و قد كانوا يدعون إلى السجود و هم سالمون** » [7] .

---

[1]- سورة الطارق الآية : ۹.

[2]- سورة العاديات الآيات : ۹-۱۱.

[3]- سورة الشعراء الآيتان : ۸۸ و ۸۹.

[4]- سورة الشعراء الآية : ۸۸.

[5]- الكافى: ۴۰/۲، باب الإخلاص، الحديث ۵.

[6]- سورة المطففين الآية : ۱۵.

[7]- سورة القلم الآيتان : ۴۲ و ۴۳.

ثم إن بطلان الأسباب و زوال الحجب، و ظهور الباطن الذى هو محيط بالظاهر مقوّم له قائم عليه يعطى كون الساعة محيطة بهذه النشأة و ما فيها و ما يتلوها، فالظاهر موجود للباطن حاضر عنده دون العكس، و هو قوله سبحانه:

« **و يقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً** » [1] .

و قوله:

« **فلمّا رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا** » [2] .

و قوله:

« **و أخذوا من مكان قريب** » [3] .

و قوله:

« **و ما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب** » [4] .

و قوله:

« **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً و ما عملت من سوء** » [5] .

و من هذا الباب قوله سبحانه:

« **و لو لا كلمة سبقت من ربک إلى أجل مسمى لقضى بينهم** » [6] .

فالسبق إلى الشيء يوجب حيلولة، فقولک: سبقت إلى مكان كذا يوجب وجود شيء آخر سبقته، و حلت بينه و بين المكان قبل أن يصل إليه، فسبق كلمة سبحانه إلى أجل مسمى، و هو قوله:

« **و لكم فى الأرض مستقر و متاع إلى حين** » [7] .

يعطى أنه محيط بهم قريب لولا السدّ الذى سدّه سبحانه تجاهه لغشيهم فصل القضاء.

و من هذا الباب قوله:

---

[1]- سورة الاسراء الآية : ۵۱.

[2]- سورة الملک الآية : ۲۷.

[3]- سورة سبأ الآية : ۵۱.

[4]- سورة النحل الآية : ۷۷.

[5]- سورة آل عمران الآية : ۳۰.

[6]- سورة الشورى الآية : ۱۴.

[7]- سورة البقرة الآية : ۳۶.

« **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشيّة أو ضحاها** » [1] .

و قوله:

« **كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار** » [2] .

و قوله:

« **قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين * قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فسأل العادين * قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون** » [3] .

و قوله:

« **و قال الذين أوتوا العلم و الإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث** » [4].

ثم إنّ ما مرّ من ظهور الباطن و بطلان الظاهر يوجب ظهور الحق سبحانه يومئذ، و ارتفاع حجب المهيّات، و انتهاك استار الهويّات، و بلوغ الكل إلى غاية الغايات من سيرهم، و منتهى النهايات من كدحهم و رجوعهم، و هو قوله سبحانه:

« **يسألونک عن الساعة أيّان مرساها * فيم أنت من ذكراها * إلى ربک منتهاها** » [5] .

و قوله سبحانه:

« **و أنّ إلى ربک المنتهى** » [6] .

و قوله:

« **يا أيها الإنسان إنک كادح إلى ربک كدحاً فملاقيه** » [7] .

و قوله:

« **و إليه ترجعون** » [8] .

---

[1]- سورة النازعات الآية : ۴۶.

[2]- سورة الأحقاف الآية : ۳۵.

[3]- سورة المؤمنون الآيات : ۱۱۲-۱۱۴.

[4]- سورة الروم الآية : ۵۶.

[5]- سور النازعات الآيات : ۴۲-۴۴.

[6]- سورة النجم الآية : ۴۲.

[7]- سورة الانشقاق الآية : ۶.

[8]- سورة البقرة الآية : ۲۴۵.

و قوله:

« **و إليه تقلبون** » [1] .

و قوله:

« **و إليه المصير** » [2] .

و قوله:

« **ألا إلى الله تصير الأمور** » [3] ،

و آيات أخر فى هذا المعنى، و قوله:

« **و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل إنما العلم عند الله** » [4] .

و قوله:

« **يسألونک عن الساعة أيّان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجلّيها لوقتها إلا هو ثقلت فى السماوات و الأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونک كأنک حفى عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون** »[5].

فهم لزعمهم أنها أمر زمانى فى سلسلة متصلة بزمانهم، سئلوا توقيتها، فصرفهم سبحانه بما يقرب من إفهامهم. ثم لمّا ألحّوا فيه أجابهم بأنّ علمها لا يبرز من عند الله و يأبى بذاته عن الطلوع لغيره سبحانه، لا أنه يقبل الحصول للغير و إنما أخفى إخفاءً لمصلحة أو غيرها، كما فى معلوماتنا، و لذلک عقبهُ سبحانه بقوله:

« **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » .

ثم إن حجب المراتب و الهويّات حيث ارتفعت يومئذ، و لم يحتجب شىء عن شىء، فالوعاء وعاء النور، و قد تبدّلت الهويّات فصارت متنوّرة، و هو قوله سبحانه:

« **و فتحت السماء فكانت أبواباً** » [6] .

و قوله:

---

[1]- سورة العنكبوت الاية : ٢١.

[2]- سورة المائدة الآية : ١٨.

[3]- سورة الشورى الآية : ٥٣.

[4]- سورة الملک الآيتان : ٢٥ و ٢٦.

[5]- سورة الأعراف الآية : ١٨٧.

[6]- سورة النبأ الآية : ١٩.

« **يوم تبدّل الأرض غير الأرض و السموات و برزوا لله الواحد القهار** » [1] .

و قوله:

« **و الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة و السماوات مطويات بيمينه** » [2] .

إلى أن قال:

« **و أشرقت الأرض بنور ربها** » [3] .

و قوله:

« **و إن الدار الآخرة لهى الحيوان** » [4] .

و قوله:

« **و إذا الأرض مدّت ❊ و ألقت ما فيها و تخلّت** » [5] .

و قوله:

« **و أخرجت الأرض أثقالها** » [6] .

و فى تفسير القمى عن السجاد (ع) فى حديث فى قوله سبحانه :

« **تبدّل الأرض غير الأرض** » .

قال (ع): « **يعنى بأرض لم تكتسب عليها الذنوب، بارزة ليس عليها جبال و لا نبات، كما دحاها أول مرة، و يعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة مستقلاً** [7] **بعظمته و قدرته** » الحديث .

و ما ذكرناه فى الاستفادة من الآيات فى تنّور الموجدات لاينافى آيات أخر تنفى النور عن الكافرين، كقوله سبحانه :

---

[1]– سورة إبراهيم الآية : ۴۸.

[2]– سورة الزمر الآية : ۶۷.

[3]– سورة الزمر الآية : ۶۹.

[4]– سورة العنكبوت الآية : ۶۴.

[5]– سورة الانشقاق الآيتان : ۳ و ۴.

[6]– سورة الزلزلة الآية : ۲ .

[7]– قوله (ع): «مستقلاً بعظمته و قدرته» تفسير لكون عرشه على الماء، و له شواهد من الكتاب تدل على أنّ الماء إشارة إلى منبع كل حياة و قدرة و عظمة أن تحمل نقوش الخلقة ظهرت الموجودات، و إذا انمحت عاد العرش على الماء، فافهم و الله الهادى. (منه ره) .

« **و من لم يجعل الله له نوراً فماله من نور** » [1] .

و قوله:

« **و نحشره يوم القيامة أعمى** » [2] .

و قوله: « **يوم يقول المنافقون و المنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم** » [3] .

و قد قال سبحانه فى المؤمنين:

« **يسعى نورهم بين أيديهم و بإيمانهم** » [4] الآية .

« **لهم أجرهم و نورهم** » [5] الآية .

و قوله سبحانه:

« **كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها** » [6] .

و قوله:

« **أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات** » [7] .

فإن ذلک ظهور ظلمات اكتسبتها أنفسهم فى الدنيا، و لا بد يبدو لهم فى الآخرة، فتلک ظلمة مع نور قد حُرم المشركون عن أفاظتها، و كتبه الله للمؤمنين، و قد مرّ نظير هذا المطلب فى ارتفاع الحجب بين الإنسان و بين ربه.

و من هذا الباب قوله سبحانه:

« **كذبوا على أنفسهم** » [8] .

و قوله سبحانه:

« **فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون** » [1] .

---

[1]– سورة النور الآية : ۴۰.

[2]– سورة طه الآية : ۱۲۴ .

[3]– سورة الحديد الآية : ۱۳ .

[4]– سورة الحديد الآية : ۱۲ .

[5]– سورة الحديد الآية : ۱۹ .

[6]– سورة الأنعام الآية : ۱۲۲ .

[7]– سورة البقرة الآية : ۲۵۷ .

[8]– سورة الأنعام الآية : ۲۴ .

و قوله سبحانه:

« **فيحلفون له كما يحلفون لكم** » [٢] .

و هناک روايات أيضاً فی أن المشركين يكذبون يوم القيامة، فهذه كما ذكرنا فی غيرها أيضاً ظهور للمعصية التی اقترفوها فی الدنيا يومئذ، و لا ينافی عدم قابليّة اليوم للكذب، فكل ما يعمله الإنسان من عمل أو يكسبه من فضيلة أو رذيلة لا بدّ و أن يظهر يوم القيامة، و قد قال سبحانه:

« **و لا يكتمون الله حديثاً** » [٣] .

و سيجیء فی فصل الأعراف ما يتمّ به هذا البيان، و يتبيّن به أنّ الأمر واحد فی نفسه، لكنه للمؤمنين رحمة و كرامة، و للكافرين نقمة و عذاب، فأحسن التدبّر فيه فإنه دقيق .

---

[١]– سورة النحل الآية : ٢٨ .

[٢]– سورة المجادلة الآية : ١٨ .

[٣]– سورة النساء الآية : ۴۲.

الفصل الخامس

فی قیام الإنسان إلی فصل القضاء

حیث أن المعاد رجوع الأشیاء بتمام ذاتها إلی ما بدأ منها، و هو واجب بالضرورة، کما مرّت الإشارة إلیه، فمن الضروری أن یکون ذلک بتمام وجودها، فما وجوده ذو مراتب وجهات متّحدة بعضها مع بعض مع بعض یرجع إلی هناک بتمام وجوده بالضرورة، فلحوق بدن الإنسان بنفسه فی المعاد ضروری، غیر أن النشأة متبدلة إلی نشأة الکمال الأخیر و الحیاة التامة، فالبدن کالنفس الحیّة حیّ نورانی .

و یشیر إلی ذلک ما فی الإحتجاج عن الصادق (ع) فی کلامه مع الزندیق، قال (ع): « **إن الروح مقیمة فی مکانها، روح المحسن فی ضیاء و فسحة، و روح المسیيء فی ضیق و ظلمة، و البدن یصیر تراباً منه خلق و ما تقذف به السباع و الهوام من أجوافها مما أکلته و مزّقته کل ذلک فی التراب، محفوظ عند من لا یعزب عنه مثقال ذرّة فی ظلمات الأرض، و یعلم عدد الأشیاء و وزنها، و أنّ تراب الروحانیین بمنزلة الذهب فی التراب، فإذا کان حین البعث مطرت الأرض مطر النشور فتربو الأرض، ثم تمخض مخض السقاء، فیصیر تراب البشر کمصیر الذهب من التراب إذا غسل بالماء، و الزبد هو اللبن إذا مخضّ، فیجتمع تراب کل قالب فینتقل بإذن القادر إلی حیث الروح فتعود اصور بإذن المصور کهیئتها، وتلج الروح فیها، فإذا قد استوی لا ینکر من نفسه شیئاً** » [1].

أقول: و قوله (ع): « **فإذا کان حین البعث مطرت الأرض مطر النشور ...** » (الحدیث) ورد فی هذا المعنی عدة روایات منهم (ع) أیضاً، و هو مستفاد من تمثیله سبحانه البعث و الإحیاء بإحیاء الأرض بعد موتها. قال سبحانه:

---

[1]- الإحتجاج: ۸۶/۲.

« **و أحيينا به بلدة ميتاً كذلک الخروج** » [1] .

و قال سبحانه:

« **و ترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت و ربت و أنبتت من كل زوج بهيج * ذلک بأن الله هو الحق و أنه على كل شيء قدير * و أن الساعة اتية لا ريب فيها و أن الله يبعث من فى القبور** » [2] .

فالآيات كما ترى تعطى أنّ للإنسان المادى أو لبدنه فقط تبدلات حتى يصل الغاية التى غيّاها سبحانه له، و مثلها قوله سبحانه:

« **وضرب لنا مثلاً و نسى خلقه قال من يحيى العظام و هى رميم * قل يحييها الذى أنشأها أول مرة و هو يكل خلق عليم * الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون** » [3] .

يفيد أن الذى جعل الشجر الأخضر بالتدريج، و التصرف بعد التصرف ناراً يضادّ الخضرة، قادر على أن يجعل العظام الرميم حيّة، و فى هذا المجرى قوله سبحانه:

« **نحن قدّرنا بينكم الموت و ما نحن بمسبوقين * على أن نبدل أمثالكم و ننشأكم فيما لا تعلمون** » [4] .

و مثله قوله:

« **نحن خلقناهم و شددنا أسرهم و إذا شئنا بدّلنا أمثالهم تبديلاً** » [5] ،

و المراد بتبديل الأمثال ورود خلق بعد خلق، قال تعالى:

« **بل هم فى لبس من خلق جديد** » [6] .

و قال:

« **كل يوم هو فى شأن** » [7] .

و ليس المراد بها الأمثال المصطلح عليها فى العلوم العقلية و بالاتحاد النوعى و الإختلاف الشخصى، فإنّ مثل الشيء بهذا المعنى غير الشيء، فلا تتمّ الحجة على منكرى الحشر حينئذ بقوله:

---

[1]- سورة ق الآية : ١١ .

[2]- سورة الحج الآيات : ٥-٧ .

[3]- سورة يس الآيات : ٧٨-٨٠.

[4]- سورة الواقعة الآيتان : ٦٠ و ٦١.

[5]- سورة الانسان الآية : ٢٨.

[6]- سورة ق الآية : ١٥.

[7]- سورة الرحمن الآية : ٢٩.

« **أو ليس الذى خلق السماوات و الأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى و هو الخلاق العليم** » [1] ؛

إذ خلق مثلهم على ذلک ليس إعادة لهم بالضرورة، بل المراد بخلق مثلهم و تبديل أمثالهم، التبدلات فيهم بحيث لا تخرج عن أنفسهم، كما أنه سبحانه فى مثل هذا النظم بدل المثل بالعين، فقال:

« **أو لم يروا أن الله الذى خلق السماوات و الأرض و لم يعى بخلقهنّ بقادر على أن يحيى الموتى** » [2] .

و قال سبحانه: « **ليس كمثله شىء** » [3].

فالمراد بمثل الشىء نفس الشىء، و هو نوع من التلطّف فى الكلام.

فهذا كله يتضمّن تبدلات الأبدان و ورودها طوراً بعد طور، و ركوبها طبقاً عن طبق، حتى تنتهى إلى الساعة، فتحلّق بالأنفس.

قال سبحانه:

« **وإذا القبور بعثرت** » [4].

و قال: « **أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور** » [5] .

فعبر بكلمة « **ما** »، ثم قال:

« **فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة** » [6] .

و هذا هو لحوق الأبدان بالأرواح كما ترى، و للأرواح مع ذلک سير فى مسيرها، و حركة فى طريقها، قال سبحانه:

« **من الله ذى المعارج * تعرج الملائكة و الروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** » [7] ،

فبين أنّ الروح كالملائكة تعرج إليه سبحانه فى معارجه، و المعراج السلم، و مثله قوله سبحانه:

« **رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده** » [8] .

---

[1]– سورة يس الآية : ٨١.

[2]– سورة الأحقاف الآية : ٣٣.

[3]– سورة الشورى الآية : ١١.

[4]– سورة الانفطار الآية : ۴.

[5]– سورة العاديات الآية : ٩.

[6]– سورة النازعات الآيتان : ١٣ و١۴.

[7]– سورة المعارج الآيتان : ٣ و ۴.

[8]– سورة غافر الآية : ١٥.

و قد جمع سبحانه أهل السعادة و الشقاء جميعاً فی قوله:

« **و لكل درجات مما عملوا** » [1] .

و قوله:

« **و للآخرة أكبر درجات و أكبر تفضيلاً** » [2] .

و قال سبحانه فی أهل الجنة:

« **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذی رزقنا من قبل و أتوا به متشابهاً** » [3] .

و قال فی أهل النار:

« **مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً** » [4] .

إذ قد أخبر سبحانه أن لا وقود لجهنم غير أهلها، فخبّوها نفاد من فيها بالإحراق.

الفصل السادس

فی الصراط

[1]- سورة الأنعام الآية : ۱۳۲.

[2]- سورة الاسراء الآية : ۲۱.

[3]- سورة البقرة الآية : ۲۵.

[4]- سورة الإسراء الآية : ۹۷.

قال سبحانه:

« **إن الذين كفروا و ظلموا لم يكن الله ليغفر لهم و لا ليهديهم طريقاً * إلا طريق جهنم** » [1] .

و قال:

« **احشروا الذين ظلموا و أزواجهم و ما كانوا يعبدون * من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم * وقفوهم أنهم مسؤولون * ما لكم لا تناصرون** » [2] ،

فأخبر تعالى أن للجحيم صراطاً يهدى الظالمون إليه، مع أزواجهم و هم الشياطين، كما يدل عليه قوله سبحانه:

« **فوربک لنحشرنّهم و الشياطين ثم لنحضرنّهم حول جهنم جثياً** » [3] .

إلى أن قال:

« **و إن منكم إلا واردها كان على ربک حتماً مقضياً * ثم ننجى الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثياً** » [4] .

و الصراط كما تدل عليه هذه الآيات صراط على الجحيم، أو فيها؛ إذ قد أخبر سبحانه بالورود و النجاة و الترک فى هذه الآيات، و بالملأ الحتمى فى قوله:

« **و لو شئنا لأتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملأنّ جهنم من الجنة و الناس أجمعين** » [5] .

و هذا الصراط الممدود على جهنم ممرّ الخلائق أجمعين من برّ و فاجر، ثم ينجى الله الذين اتقوا و يذر الظالمين فيها جثياً، و لقد كرّر سبحانه فى هذه الآيات لفظ الظلم، و مثله قوله سبحانه:

« **الذين طغوا فى البلاد** » [6] .

و الطغيان الإفراط فى الظلم و الإستكبار:

« **فأكثروا فيها الفساد * فصبّ عليهم ربک سوط عذاب * إنّ ربک لبالمرصاد** » [7] .

و قال سبحانه:

« **إن جهنم كانت مرصاداً** » [1] .

---

[1]- سورة النساء الآيتان : ۱۶۸ و ۱۶۹.

[2]- سورة الصافات الآيات : ۲۲-۲۵.

[3]- سورة مريم الآية : ۶۸.

[4]- سورة مريم الآيتان : ۷۱ و ۷۲.

[5]- سورة السجدة الآية : ۱۳.

[6]- سورة الفجر الآية : ۱۱.

[7]- سورة الفجر الآيات : ۲۴-۲۶.

و الظلم إما بتفريط فی جنب الناس، و إما بتفريط فی جنب النفس، و إما بتفريط فی جنب الله، و هو الولاية التی لأولياء الله، و الجميع يحصل باتّباع الهوی و الشيطان، و أصله الاغترار بزينة الحياة الدنيا و الإخلاد إلی هذه الأوهام التی نسمّيها مجموعاً بنظام التمدن، و هو التناصر بالأوهام غير الحقائق. ولعل هذا هو المسؤول عنه فی قوله سبحانه:

« **وقفوهم أنهم مسؤولون * ما لكم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون** » [۲] .

و ممّا مرّ يظهر معنی ما ورد من الروايات فی الباب؛ ففی تفسير القمی فی قوله تعالی:

« **وجیء يومئذ بجهنم** » [۳] الآية.

عن الباقر (ع)،قال: « **لما نزلت هذه الآية:**

« **وجیء يومئذ بجهنم** »

سئل عن ذلک رسول الله (ص)، فقال (ص): أخبرنی الروح الأمين أن الله لا إله غيره إذا برز الخلائق، و جمع الأولين و الآخرين، أتی بجهنم تقاد بألف زمام، آخذ بكل زمام مئة ألف يقودها من الغلاظ الشداد، لها هدة و غضب، و زفير و شهيق، و أنها لتزفر زفرة، فلولا أنّ الله أخّرهم للحساب لأهلكت الجميع، ثم يخرج منها عنق فيحيط بالخلائق، البرّ منهم و الفاجر، ما خلق الله عبداً من عباد الله ملكاً و لا نبياً إلا ينادی: رب نفسی نفسی، و أنت يا نبی الله تنادی: أمتی أمتی! ثم يوضع عليها الصراط أدقّ من الشعر، و أحدّ من حدّ السيف، عليه ثلاث قناطر: فأما واحدة فعليها الأمانة و الرحم، و الثانية فعليها الصلاة، و الثالثة فعليها رب العالمين، لا إله غيره. فيكلفون الممرّ عليها فيحبسهم الرحم و الأمانة، فإن نجوا منها حسبتهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهی إلی ربّ العالمين، و هو قوله:

« **إن ربک لبالمرصاد** » [۴].

فمتعلق بيد بقدم و تزل بقدم و يستمسک بقدم، و الملائكة حولها ينادون: يا حليم، اعف و اصفح، وعد بفضلک، و سلّم سلّم، و الناس يتهافتون فی النار كالفراش فيها، فإذا نجا ناج برحمة الله مرّ بها، فقال: الحمد

---

[۱]– سورة النبأ الآية : ۲۱.

[۲]– سورة الصافات الآيات : ۲۴–۲۶.

[۳]– سورة الفجر الآية ۲۳.

[۴]– سورة الفجر الآية : ۱۴.

لله و بنعمته تتمّ الصالحات و تزكّو الحسنات، و الحمد لله الذى نجّانى منک بعد أياس بمنّه و فضله، إن ربنا لغفور شكور » [1].

و روى الكلينى فى الكافى [2] و الصدوق فى الأمالى [3] ما فى معناه .

و فى العلل عن الصادق (ع) فى تفسير قوله: « **إنهم مسؤولون** »، قال (ع): « **لا يجاذبه قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه، و عن عمره فيما أفناه، و عن ماله من أين جمعه و فيما أنفقه، و عن حبنا أهل البيت** » [4].

و روى القمى فى تفسيره عن الصادق (ع)، و الصدوق فى الأمالى، و العيون عن النبى (ص):« **أن المسؤول عنه ولاية أمير المؤمنين (ع)** » [5].

و فى المجمع عن النبى (ص)، قال: « **يرد الناس النار ثم يصدرون بأعمالهم، فأولهم كلمع البرق، ثم كمرّ الريح، ثم كمحضر الفرس، ثم كالراكب، ثم كشدّ الرجل، ثم كمشيه** » [6].

و عنه (ص): « **تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جزْ يا مؤمن، فقد أطفأ نورک لهبى** » [7] .

و عن النبى (ص) أيضاً أنه سئل عن قوله تعالى:

« **و إن منكم إلا واردها** » [8] الآيات،

فقال: « **إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال بعضهم لبعض: أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار، فقال: وردتموها و هى خامدة** » [9].

أقول: و بالتأمل فيما قدمنا، و فى ما سيجىء فى الشفاعة يتّضح معنى هذه الأحاديث، و الله الهادى.

---

[1]- تفسير القمى: ۴۵۱/۲.

[2]- الكافى:۲۴۶/۸، الحديث ۴۸۶.

[3]- أمالى الصدوق: ۱۷۶، المجلس الثالث و الثلاثون، الحديث ۳.

[4]- علل الشرائع: ۲۵۶/۱، الباب ۱۵۸.

[5]- تفسير القمّى: ۲۲۴/۲.

[6]- تفسير مجمع البيان: ۸۱۲/۶.

[7]- تفسير مجمع البيان: ۸۱۲/۲.

[8]- سورة مريم الآية : ۷۱.

[9] - بحار الأنوار:۲۵۰/۸، الباب ۲۴ (النار أعاذنا الله و سائر المؤمنين من لهبها)، و فيه: « فيقال لهم » بدل « فقال ».

الفصل السابع

فی المیزان

قال سبحانه:

« **والوزن یومئذ الحق فمن ثقلت موازینه فأولئک هم المفلحون * و من خفت موازینه فأولئک الذین خسروا أنفسهم بما کانوا بأیتنا یظلمون** » [1] .

بین سبحانه أن الوزن حق ثابت یوم القیامة.

ثم قال:

« **فمن ثقلت موازینه** » و « **من خفت موازینه** » .

و لعل الجمع باعتبار عدد الزنات و الثقل فی الحسنات، و الخفة فی السیئات مع أن ظاهر الأمر یقتضی العکس، کما قال: « **و العمل الصالح یرفعه** » [2]، « **و یرفع الله الذین آمنوا**» [3].

و قال:

« **ثم رددناه أسفل سافلین** » [1] .

---

[1]– سورة الأعراف الآیتان : ۸ و ۹.

[2]– سورة فاطر الآیة : ۱۰.

[3]– سورة المجادلة الآیة : ۱۱.

و بناء على ما بينه سبحانه من بوار السيئات و بقاء الحسنات، قال تعالى:

« **فأما الزبد فيذهب جفاءً و أما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** » [٢] .

فالثقل إنما هو للحسنات دون السيئات، و فى قوله سبحانه :

« **أولئک الذين خسروا أنفسهم** »

إشارة إلى ذلک .

ثم إنه سبحانه قال:

« **و نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً و إن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها و كفى بنا حاسبين** » [٣] .

ففسّر الموازين بالقسط، و هو العدل فى مقابلة الظلم، و بين وجه الثقل فى الحسنات و الخفة فى السيئات.

و فى التوحيد عن أمير المؤمنين (ع)، فى قوله تعالى:

« **فمن ثقلت موازينه** »،

قال (ع): « **إنما يعنى الحسنات، توزن الحسنات و السيئات، و الحسنات ثقل الميزان، و السيئات خفة الميزان** » [٤].

و فى الإحتجاج عنه (ع): « **هى قلة الحسنات و كثرتها** » [٥]–الحديث. و يتبين بما مر معنى قوله سبحانه:

« **أولئک الذين كفروا بآيات ربهم و لقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً** » [٦]؛

إذ لا معنى لوضع الميزان و الوزن مع الحبط.

و به يتبين أن الوزن بالميزان يوم القيامة يختص بالأعمال غير المحبطة، و لذلک فالآية لا تنافى قوله سبحانه:

« **فمن ثقلت موازينه فأولئک هم المفلحون * و من خفت موازينه فأولئک الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون * تلفح وجوههم النار و هم فيها كالحون * ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون * قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا و كنا قوماً ضآلّين** » [١] .

---

[١]– سورة التين الآية : ۵.

[٢]– سورة الرعد الآية : ١٧.

[٣]– سورة الأنبياء الآية : ۴٧.

[٤]– التوحيد: ٢۶٢، الباب ٣۶، الحديث ۵.

[٥]– الاحتجاج:٣٢١/١، و فيه: « قلة الحساب و كثرته» بدل «قلة الحسنات و كثرتها».

[٦]– سورة الكهف الآية : ١٠۵ .

و فيما مر يظهر معنى ما ورد عنهم (ع) من الروايات: ففى الإحتجاج عن الصادق (ع)، حيث سأل عنه الزنديق: أو ليس توزن الأعمال؟ قال : « **لا، لأن الأعمال ليست أجساماً، و إنما هى صفة ما عملوا، و إنما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء، و لا يعرف ثقلها و لا خفّتها، و أن الله لا يخفى عليه شيء** »، قال: فما معنى الميزان؟ قال (ع): « **العدل** »، قال: فما معناه فى كتابه: « **فمن ثقلت موازينه** »؟ قال (ع) : « **فمن رجح عمله** »[٢]–الخبر.

و فى التوحيد عن أمير المؤمنين (ع) فى خبر من ادّعى التناقض بين آيات القرآن، قال (ع): « **و أما قوله** :« **و نضع الموازينَ القسط** »، **فهو ميزان العدل، يؤخذ به الخلائق يوم القيامة، يدين الله تبارک و تعالى الخلق بعضهم من بعض بالموازين** » [٣]–الخبر.

و فى الكافى و المعانى عن الصادق (ع) و قد سئل عن قوله تعالى:

« **و نضع الموازين القسط ليوم القيامة** »،

قال: « **الأنبياء و الأوصياء** »[٤].

أقول: و وجهه واضح مما مرّ.

و فى الكافى: عن السجاد (ع)، فى كلام له فى الزهد: « **واعلموا عباد الله أن أهل الشرک لا ينصب لهم الموازين، و لا ينشر لهم الدواوين، و إنما يحشرون إلى جهنم زمراً، و إنما نصب الموازين و نشر الدواوين لأهل الإسلام، و اتقوا الله عباد الله** » [٥]–الخبر.

---

[١]– سورة المؤمنون الآيات : ١٠٢–١٠٦ .

[٢]– الإحتجاج:٨٦/٢.

[٣]– التوحيد: ٢٦١، الباب ٣٦، الحديث ٥.

[٤]– الكافى:١٤٧٥، الباب ١٦٤، الحديث ٣٦.معانى الأخبار:٣١، باب معنى الموازين، الحديث ١.

[٥]– الكافى: ٨/٦٦، الحديث ٢٩.

الفصل الثامن

فی الکتب

قال سبحانه:

« **و کل إنسان ألزمناه طائره فی عنقه و نخرج له یوم القیامة کتاباً یلقیه منشوراً * إقرأ کتابک کفی بنفسک الیوم علیک حسیباً** » [1].

بیّن سبحانه أنه ألزم الإنسان طائره، و هو عمله الذی یتفاءل به و یتشاءم، فطائر الإنسان عمله الذی قلّده، و لذلک وصفه بأنه فی عنقه، و قد کانت الأعمال التی تحفظ للإنسان و علیه غیر محسوسة و لا ظاهرة؛ إذ الحسّ فی الدنیا لا یجاوز سطح الأشیاء، و الاستدلال فیها إنما هو بالآثار، لکن نشأة القیامة نشأةٌ تبلی فیها السرائر، و برزوا الله جمیعاً، فلذلک وصف الطائر بأنه سیخرج له کتاباً منشوراً، و قال سبحانه:

« **أحصاه الله و نسوه** » [2].

و قال سبحانه:

« **بل بدا لهم ما کانوا یخفون** » [3].

و نسب الإحصاء و البداء و اللزوم إلی نفس الأعمال؛ إذ کان الکتاب مشتملاً علی نفسها أو حقائقها دون الخطوط التی نصطلح علیها فیما عندنا من الکتابة، و هو قوله سبحانه :

« **یومئذ یصدر الناس اشتاتاً لیروا أعمالهم * فمن یعمل مثقال ذرة خیراً یره * و من یعمل مثقال ذرة شراً یره** » [4].

و قوله سبحانه:

« **و لیوفّیهم أعمالهم و هم لا یظلمون** » [5].

و من هذا الباب قوله سبحانه:

« **یومئذ یتذکر الإنسان و أنّی له الذکری** » [1].

---

[1]- سورة الإسراء الآیتان : ۱۳ و ۱۴.

[2]- سورة المجادلة الآیة : ۶.

[3]- سورة الأنعام الآیة : ۲۸.

[4]- سورة الزلزلة الآیات : ۶-۸.

[5]- سورة الأحقاف الآیة : ۱۹.

و قوله:

« **ينبّؤا الإنسان يومئذ بما قدّم و أخّر** » [۲] .

و قد مرّ أنّ هذا اليوم محيط بجميع المراتب الوجودية، فالأعمال كما تحضر بأنفسها تحضر بحقائقها التى ظهرت منها، و هو قوله سبحانه:

« **و ترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون** » [۳] .

و هذا هو الكتاب المخصوص الذى يشتمل على نفس الأعمال، ثم قال سبحانه:

« **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون** » [۴] .

و هذا هو الكتاب المبين الذى مكتوب فيه ما كان و ما يكون و ما هو كائن إلى يوم القيامة كما فى الأخبار، و منه النسخ الجزئية كلها، و منه تستنسخ الأعمال فى نشأة ظهورها، و هو المشتمل على حقائقها و الحجة على الكل، و لعله المراد بقوله سبحانه:

« **و أشرقت الأرض بنور ربها و وضع الكتاب** » [۵] .

و فى الكافى عن الصادق (ع) فى حديث اللوح، و هو الكتاب المكنون الذى منه النسخ كلها: « **أوَلستم عرباً فكيف لا تعرفون معنى الكلام، و أحدكم يقول لصاحبه انسخ ذلک الكتاب، أوَليس إنما ينسخ من كتاب آخر من الأصل، و هو قوله:**

« **إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون** » [۶]. » [۷]

و فى تفسير العياشى: عن خالد بن نجيح، عن الصادق (ع)، قال: « إذا كان يوم القيامة دفع إلى الإنسان كتابه، ثم قيل له: اقرأ » قلت فيعرف ما فيه؟ فقال : « **إن الله يذكره، فما من لحظة و لا كلمة و لا نقل قدم، و**

---

[۱]– سورة الفجر الآية : ۲۳.

[۲]– سورة القيامة الآية : ۱۳.

[۳]– سورة الجاثية الآية : ۲۸ .

[۴]– سورة الجاثية الاية : ۲۹ .

[۵]– سورة الزمر الآية : ۶۹ .

[۶]– سورة الجاثية الآية : ۲۹.

[۷]– لم نعثر عليه فى الكافى، راجع تفسير القمى: ۳۹۸/۲

لاشيء فعله إلّا ذكّره، كأنه عمله تلك الساعة، فلذلک قالوا: « يا ويلنا مال لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها»[1] **»** [2].

و فيه أيضاً عن خالد بن يحيى عن الصادق (ع)، قريب منه[3].

أقول: و قد فسّر (ع) القراءة بالذكرة، و قد ذكرنا فى رسالتى الأفعال و الوسائط فى الكتاب كلاماً أبسط من هذا.

ثم إنه سبحانه قال:

« **إنا نحن نحى الموتى و نكتب ما قدّموا و آثارهم** » [4].

فعمّم الكتابة لأعمالهم التى فعلوها بلا واسطة، و ما يترتّب عليها من الآثار، فالكل محاسب به و يظهر به معنى قوله:

« **ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدّم و أخّر** » [5].

و فى تفسير القمى عن الباقر (ع): « **بما قدّم من خير و شر و ما أخّر فما سنّ من سنّة يستنّ بها، فإن كان شراً كان عليه مثل وزرهم و لا ينقص من وزرهم شيئاً، و إن كان خيراً كان له مثل أجورهم و لا ينقص من أجورهم شيئاً** » [6]، ثم عقبه سبحانه بقوله:

« **و كل شيء أحصيناه فى إمام مبين** » [7].

و من هنا يظهر أن اللوح المحفوظ يحاسب به العباد كما يحاسبون بالألواح المخصوصة لكل واحد منهم.

و يظهر أيضاً أن الكتاب الذى ذكره سبحانه بقوله:

« **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ ...** »[8] الخ،

---

[1]- سورة الكهف الآية : ۴۹.

[2]- تفسير العيّاشى: ۲۵۴/۲، الحديث ۳۴.

[3]- تفسير العيّاشى: ۳۵۴/۲، الحديث ۳۵، و فيه: عن «خالد بن نجيح» بدل «خالد بن يحيى».

[4]- سورة يس الآية : ۱۲.

[5]- سورة القيامة الآية : ۱۳.

[6]- تفسير القمى: ۴۲۱/۲.

[7]- سورة يس الآية : ۱۲.

[8]- سورة الجاثية الآية : ۲۹.

هو اللوح المحفوظ، فإنه وصف الكتاب فى هذه الآية بالإمامة، و هو المتبوعيّة فى الأعمال، و وصفه هناک باستنساخ الأعمال منه، فهو واحد.

ثم بيّن سبحانه تفاوت أخذهم الكتاب بالسعادة و الشقاوة، فقال:

« **يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية * فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه * إنى ظننت أنى ملاق حسابيه** » [1].

إلى أن قال :

« **و أما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه * و لم أدر ما حسابيه** » [2].

و اليمين و الشمال جانبا الإنسان: القوى و الضعيف، أو اليدان التاليتان لهما، أو جانبا السعادة و الشقاوة.

و ليس المراد وضع الكتاب فى يد الإنسان اليمنى أو اليسرى على ما يفهمه الظاهريّون من المحدثين و غيرهم؛ إذ لم يقل سبحانه أوتى كتابه ليمينه أو لشماله، بل أتى بالباء المفيد للوساطة، و يشهد به قوله سبحانه:

« **فأمّا من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً * و ينقلب إلى أهله مسروراً * و أما من أوتى كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبوراً** » [3].

فقد قال سبحانه إنه يدعوهم بإمامهم، و لم يقل إلى إمامهم، و قد قال كل أمة تدعى إلى كتابها و لم يقل بكتابها، فالدعوة بالإمام غير الدعوة إلى الكتاب.

ثم فصله سبحانه بأن طائفة منهم بعد ذلک يؤتى كتابه بيمينه، أى بواسطة اليمين، فيمينه إمامه الحق الذى يدعى به، ثم بدّل الإيتاء بالشمال بقوله: « **و من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى** »،

فظهر به أنّ الإيتاء باليمين نور و اهتداء فى الآخرة، كما قال سبحانه:

« **يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم** » [4].

و قال:

« **و الذين آمنوا بالله و رسله أولئک هم الصّدّيقون و الشهداء عند ربهم لهم أجرهم و نورهم** » [5].

---

[1]- سورة الحاقة الآيات : ١٨-٢٠.

[2]- سورة الحاقة الآيتان : ٢٥ و ٢٦.

[3]- سورة الانشقاق الآيات : ٧-١١.

[4]- سورة الحديد الآية : ١٢.

[5]- سورة الحديد الآية : ١٩.

و من هنا يظهر أن النور هو الإمام، و المراد هو اللحوق به، و الكلام فيه كثير، و بالجملة: فيشبه أن يكون المراد باليمين و الشمال البركة و الشأمة و السعادة و الشقاوة دون اليدين اليمنى و اليسرى، و قد عبر سبحانه فى سورة الواقعة عن الطائفتين تارة بقوله:

« **و أصحاب اليمين ما أصحاب اليمين** »،

« **و أصحاب الشمال ما أصحاب الشمال** » [1].

و تارة بقوله:

« **فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * و أصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة** » [2].

و تارة بقوله :

« **و أما إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لک من أصحاب اليمين * و أما إن كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم** » [3].

فوضع فى مكان أصحاب الشمال المكذبين الضالين فهم أصحاب شقاء و أصحاب تكذيب و ضلال، و كأنه إشارة إلى قوله:

« **و من خفّت موازينه** »

إلى أن قال: « **ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون * قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا و كنا قوماً ضالين** » [4].

و قد عرفت هناک كون الآية فى أصحاب الشقاء من ضلال الملبيين، و نقضة عهد الأئمة الحق، و أما الكفار الجاحدون فلا يقيم سبحانه لهم وزناً، فلا كتاب لهم و لا حساب.

و بالجملة: فأصحاب الشمال هم الأشقياء، أصحاب الضلال، و لذلک فهم يقولون فيما حكى عنهم سبحانه: « **ما أغنى عنى ماليه * هلک عنى سلطانيه** » [5].

---

[1]- سورة الواقعة الآية : ۴۱.

[2]- سورة الواقعة الآيتان : ۸ و ۹.

[3]- سورة الواقعة الآيات : ۹۰-۹۳.

[4]- سورة المؤمنون الآيتان :۱۰۵ و ۱۰۶.

[5]- سورة الحاقة الآيتان : ۲۸ و ۲۹.

فهذه الأمور هة الصادّة إياهم عن اتّباع الحق بعد الإذعان به، فكل من أصحاب السعادة و الشقاوة مدعوّ بإمامه، ملحق به، يؤتى بكتابه به و هو اللحوق الذى يشتمل عليه أخبار الطينة و السعادة و الشقاوة الذاتيتين. و سيأتى ذكر منه إن شاء الله؛ و لذلک كان أصحاب الشقاء يؤتون كتابهم بشمالهم و وراء ظهرهم إذ ائمتهم قدّامهم، و وجوههم منكوسة مطموسة.

قال سبحانه فى فرعون:

« **يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار** » [1] .

و قال سبحانه:

« **يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزّلنا مصدّقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردّها على أدبارها** » [2] .

و قال سبحانه:

« **قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا ناراً** » [3] .

و قد مرّ أن النور هو الإمام الحق هذا.

و الإعتبار أيضاً يساعد هذا المعنى، فإن الإنسان بوجوده الدنيوى، أعنى بدنه الحىّ بقواه و إحساساته على ما نزل من عند الحكيم الخبير و دبّره العليم القدير، متوجه القوى و الإحساسات إلى جهتى القدّام و اليمين، و أما جهتا الشمال و الوراء فعندهما نفاد القوى و هلاک الاحساس، و الإنسان إذا شقى وأخلد إلى الأرض واتّبع هواه أقبل إلى الأرض ووجهه لها، و إذا قام لربه و أُحضر لحسابه و اتبع الدعى لا عوج له، سار ووجهه إلى خلفه، فحالهم حال ضرير منكوس الوجه، مدهوش، ساع إلى غاية لا يدرى ما يفعل و لا ماذا يُفعل به.

و اعلم أنّ الإمام الحقّ على أنه مهيمن على أناس دعوا به، كذلک هو مهيمن على إمام الباطل و حزبه، قال سبحانه:

« **إنا نحن نحى الموتى و نكتب ما قدّموا و آثارهم و كل شىء أحصيناه فى إمام مبين** » [4] ،

فوصف الكتاب المحصى لكل شىء من السعادة و الشقاوة بالإمامة.

---

[1]- سورة هود الآية : ۹۸.

[2]- سورة النساء الآية : ۴۷.

[3]- سورة الحديد الآية : ۱۳.

[4]- سورة يس الآية : ۱۲.

و قال أيضاً:

« **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون** » [1] .

فالإمام –الذى هو الكتاب– حاكم فى الفريقين: السعيد و الشقىّ، مهيمن على الطائفتين جميعاً.

و هذا غير مناف لما مرّ أن الدعوة إلى الكتاب غير الدعوة بالإمام، فإنه سبحانه ما وصف صحف الأعمال بالإمامة، بل وصفها بالإلزام و المتابعة، و قال:

« **ألزمناه طائره** »[2] الآية.

و إنما وصف بالإمامة اللوح المحفوظ الذى منه يستنسخ الأعمال وصحف الأعمال، و هو الأصل المتبوع، و الإمام المقتدى الذى عليه مدار أمور العالم برمّتها.

و اعلم أنه سبحانه فسَّر الإمامة فى آيات كثيرة بالولاية، غير أنه وصف نفسه بالولاية دون الإمامة لاقتضائه سنخية ما بين الإمام و المأموم، و هو واضح.

و بالجملة: فإمام الحق ولى المؤمنين، و أئمة الباطل أولياء الكافرين، و الوجه فى جميع ذلک واضح، و به ينحلّ عقد الأخبار التى تدل على حكومة أرباب الولاية فى أمر الناس يوم القيامة، و سيأتى عدة منها.

و اعلم أيضاً أنّ الكتاب يؤتى للطائفتين من الناس، و هنا جماعة غيرهم و هم السابقون المقرّبون، قال سبحانه:

« **و كنتم أزواجاً ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * و أصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة * و السابقون السابقون * أولئک المقربون** » [3] .

فهؤلاء هم المخلصون المستثنون من حكم الصور و الإحضار و الميزان، و قد استثنوا من حكم إعطاء الكتاب أيضاً، و ستجىء، مزايا أخر من أحوالهم فى يوم القيامة، فحكم الكتاب واقع على غيرهم من أصحاب الأعمال، إلا المستثنون من المعاندين الجاحدين، كما مرّ، قال سبحانه:

« **و كل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه** » [4] .

---

[1]– سورة الجاثية الآية : ٢٩.

[2]– سورة الإسراء الآية : ١٣.

[3]– سورة الواقعة الآيات : ٧ – ١١.

[4]– سورة الإسراء الآية : ١٣.

فهی فیمن له عمل، فإما من ارتفع عن سطح العمل ممن لیس له إلا الله تعالی کالمخلصین، و من المکذّبین المنکرین للقاء الله فلا کتاب له أصلاً، ثم قال سبحانه:

« **و نخرج له یوم القیامة کتاباً یلقاه منشوراً** » [1].

و یشبه أن یکون الکتاب غیر الطائر الملزم فی عنقه؛ إذ لم یقل سبحانه: و نخرجه، و کان حق الکلام ذلک لو کان کذلک فالآیة فی مساق قوله:

« **و إذا الصحف نشرت** » [2].

ثم قال سبحانه:

« **اقرأ کتابک کفی بنفسک الیوم علیک حسیباً** » [3].

و یظهر منه أنّ حال الکتاب و قراءته یومئذ غیر حال الکتاب و قراءته عندنا فی الدنیا، و إنما هو الذکر، قال سبحانه:

« **ینبّؤا الإنسان یومئذ بما قدّم و أخّر** » [4].

و هذا فی تفاصیل الأعمال.

و قال:

« **بل الإنسان علی نفسه بصیرة** »[5].

و هذا فی الإجمال. و قد مرّت الروایة فی کیفیة قراءة الکتاب، و الله أعلم.

---

[1]- سورة الإسراء الآیة : ۱۳.

[2]- سورة التکویر الآیة : ۱۰.

[3]- سورة الإسراء الآیة : ۱۴.

[4]- سورة القیامة الآیة : ۱۳.

[5]- سورة القیامة الآیة : ۱۴.

الفصل التاسع

فی الشهداء یوم القیامة

قال سبحانه:

« و أشرقت الأرض بنور ربها و وضع الکتاب وجطء بالنبیین و الشهداء و قُضی بینهم بالحق و هم لا یظلمون » [1] .

و قد عدّ سبحانه أصنافاً من الشهداء علی الأعمال یوم القیامة، و الشهادة علی الشیء هی تلقیه بالحضور و الرؤیة، و یسمی تحمّلها و حکایتها کلاهما شهادة. و من المعلوم أن الشهادة علی الأعمال لیست علی مجرد صورها الظاهرة، بل علی ما هی علیها من الطاعة و العصیان و السعادة و الشقاوة؛ إذ هو قضیة القضاوة و سیّما من أحکم الحاکمین.

[1]– سورة الزمر الآیة : ۶۹.

و هذه الأوصاف غير ممكنة الإحراز إلا بارتباط الشاهد على محتد هذه الأعمال من الضمائر و السرائر و خصوصيات انتشاءات الأعمال من الإرادات و القصود، فالشهادة يومئذ على أنه تشريف للشاهد بالإذن فى كلامه كما قال سبحانه:

« **لا تكلم نفس إلا بإذنه** » [1].

إنما يختص بها من أتاه الله سبحانه هذه الكرامة فى الدنيا، و هى الوقوف على حقائق الأعمال و محتدها من الضمائر و السرائر، قال سبحانه:

« **لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن و قال صواباً** » [2].

و الصواب خلاف الخطأ، و قال:

« **إلا من شهد بالحق و هم يعلمون** » [3].

فالشهادة يومئذ إنما تتحقق ممن حفظ أعمال العاملين على حقيقتها من غير خطأ و عوج.

و أنت إذا تأمّلت هذه البنيّة الإنسانية على قواها و حواسها وجدت أن هذه الشهادة و التلقّى مستحيلة فى حقها بالنسبة إلى أعمال الحاضرين، فضلاً عن الغائبين، و مع الحضور من الشاهد فضلاً عن الغيبة، و مع القرب فضلاً عن البعد، و هو واضح، فليس إلا أن ذلک بأمر آخر و قوة أُخرى وراء ما عند الإنسان المتعارف من القوة و الإحساس يمسّ باطن الإنسان ذى الأعمال، كمسّه بظاهره و بالغائب كالحاضر و بالبعيد كالقريب، فهو نور غير جسمانى لا يحتاج إلى ما يحتاج إليه الجسم فى تأثيراته و أعماله من خصوصيات الزمان و المكان و الحال، فهو نور يبصر به السرائر و يميّز به الطيّب من الخبيث، قال سبحانه:

« **كلّا إن كتاب الأبرار لفى علّيين * و ما ادراک ما علّيّون * كتاب مرقوم * يشهده المقربون** » [4].

و قال سبحانه:

« **كلا إن كتاب الفجار لفى سجّين * و ما أدراک ما سجّين * كتاب مرقوم * ويل يومئذ للمكذبين** » [5].

و قد مر فى الفصل السابق أن أصحاب اليمين و أصحاب الشمال يؤتون كتابهم بإمامهم الحق.

---

[1]- سورة هود الآية : ١٠٥.

[2]- سورة النبأ الآية : ٣٨.

[3]- سورة الزخرف الآية : ٨٦.

[4]- سورة المطففين الآيات : ١٨-٢١.

[5]- سورة المطففين الآية : ٧-١٠.

و قال سبحانه أيضاً:

« **و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون و ستردون إلى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** » [1] .

و الخطاب عام غير مختصّ بالمنافقين، و هو يقتضى خصوصية المراد بقوله:

« **والمؤمنون** » الآية.

و فيه تلويح بأن رؤية الرسول و المؤمنين لأعمالهم ستندرج فى ضمن ما سينبئهم سبحانه بما كانوا يعملون.

و روى القمى فى تفسيره عن الصادق (ع): « **أن أعمال العباد تعرض على رسول الله كل صباح، أبرارها و فجارها، فاحذروا و ليستحيى أحدكم أن يعرض على نبيِّه العملَ القبيح** »[2].

و روى العياشى فى تفسيره عن الصادق (ع) أنه سئل عن قوله:

« **و قل اعملوا** » الآية.

فقال: « **و المؤمنون هم الأئمة** »[3].

و الأخبار الواردة فى الكافى [4] و الأمالى [5]، و المناقب، و البصائر [6]، و التفسيرين: للقمى [7] و العياشى [8] فى هذا هذا المعنى فوق حد الاستفاضة.

و بالجملة: فتحمل هذه الشهادة هو بشهادة نفس الأعمال، و كذلک أدائها يوم القيامة، و كذلک المجازاة بها يومئذ. قال تعالى:

« **وجىء بالنبيين و الشهداء و قضى بينهم بالحق و هم لا يظلمون * و وُفّيت كل نفس ما عملت و هو أعلم بما يفعلون** » [9] .

---

[1]– سورة التوبة الآية : ١٠٥.

[2]– تفسير القمى: ٤٢١/٢.

[3]– تفسير العياشى: ١١٥/٢، الحديث ١٢٥.

[4]– الكافى: ٢٤٥/١، الباب ٨٥، الحديث ٢.

[5]– أمالى الطوسى: ٤٠٩، المجلس الرابع عشر، الحديث ٩١٨.

[6]– بصائر الدرجات: ٤٤٧/٩، الباب ٥، الحديث ١٢٥.

[7]– تفسير القمى: ٣٣٢/١.

[8]–تفسير العياشى: ١١٥/٢، الحديث ١٢٥.

[9]– سورة الزمر الآيتان : ٦٩ و ٧٠.

و أما أصناف الشهداء، فمنهم الشهداء الأولياء المقرّبون من البشر، كالأنبياء و الصالحين من الأولياء، قال سبحانه :

« **و جی ء بالنبيين و الشهداء** » .

و تمييز النبيين من الشهداء كأنه نوع تشريف لهم كما قيل.

و قال سبحانه:

« **و يوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا و لا هم يُستعتبون** » [1] .

و الأمة: الجماعة من الناس، و إذا أضيفت إلى شیء كنبیّ أو زمان أو مكان تميّزت به، فالآية عامّة لجميع الأولياء و لو اجتمع عدة منهم فی أمة نبی.

و قال سبحانه:

« **و كذلک جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً** » [2] .

و البيان السابق فی معنی الشهيد يوضّح أنّ هذه العطية و الكرامة منه سبحانه ليست عامّة لجميع أمة محمد (ص)، بل هی خاصة لبعض الأمة. و الخطاب الواقع لجميع الأمة بظاهره باعتبار وجودهم فيها، و هو ذائع دائر فی الخطابات كقوله سبحانه:

« **محمد رسول الله و الذين معه أشداء** » [3].

إلى آخر الآية، فإنه شامل بظاهره لجميع من معه، و فيهم المنافقون و الفاسقون بإجماع الأمة، و أمثاله كثيرة.

و بالجملة: فالشهداء من هذه الأمة شهداء على الناس، و الرسول شهيد عليهم، فالأمة الشهيدة وسط بين الرسول (ص) و الناس كما ذكره سبحانه.

و كذلک قوله سبحانه:

« **هو اجتباكم و ما جعل عليكم فی الذين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل و فی هذا ليكون**

الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس » [1] .

---

[1]- سورة النحل الآية : ۸۴.

[2]- سورة البقرة الآية : ۱۴۳.

[3]- سورة الفتح الآية : ۲۹.

و هذه الآية فی إختصاص الشهداء أصرح من سابقتها، و فی قوله سبحانه:

« **هو سمّاكم المسلمين من قبل** » .

إشارة إلى دعاء إبراهيم مع ولده إسماعيل (ع) عند بناء الكعبة:

« **ربنا و اجعلنا مسلمين لک و من ذرّيّتنا أمة مسلمة لک و أرنا مناسكنا و تب علينا إنک أنت التواب الرحيم * ربنا و ابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتک و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يزكيهم إنک أنت العزيز الحكيم** » [۲] .

و دعاؤه (ع) حيث إنه لولد إبراهيم و إسماعيل معاً، و لمن فی مكة، فهو لقريش، و حيث إنه (ع) دعا أولاً بإسلامهم لله (و إرائة) الله إياهم مناسكهم و توبته لهم، ثم دعا ببعث رسول يطهرهم و يزكيهم فهم جمع من قريش جمعوا بين طهارة الذات [۳] و الهداية و الاهتداء إلى عهود الله، و بين الإيمان برسوله و التزكّی و التطهّر بتزكيته و تطهيره، فهم أشخاص مخصوصون بكرامة الله سبحانه من بين الأمة و قوله:

« **ليكون الرسول** »

بيان لغاية قوله:

« **هو اجتباكم** » .

و ما ذكرناه فی معنى الآية هو الذی تفسّره به الأخبار الواردة عن أئمة أهل البيت.

ففی الكافی [۴]، و تفسير العياشی[۵] عن الباقر (ع): «**نحن الأمة الوسطى، و نحن شهداء الله على خلقه، و حججه فی أرضه**» .

و عن شواهد التنزيل عن أمير المؤمنين (ع): « **إيانا عنى بقوله : « لتكونوا شهداء على الناس »، فرسول الله شاهد علينا، و نحن شهداء الله على خلقه و حجته فی أرضه، و نحن الذين قال الله : « و كذلک جعلناكم أمة وسطاً » »**[۶].

---

[۱]– سورة الحج الآية : ۷۸.

[۲]– سورة البقرة الآيتان : ۱۲۸ و ۱۲۹.

[۳]– أهل السعادة الذاتية و السعادة المكتسبة، و بعبارة أخرى: طهارة الذات و التبعية (منه ره).

[۴]– الكافی: ۲۱۳/۱، الحديث ۲.

[۵]– تفسير العياشی: ۸۱/۱، الحديث ۱۱۰، مع اختلاف يسير.

[۶]– شواهد التنزيل: ۱۱۹/۱، الحديث ۱۲۹.

و فی المناقب عن الباقر (ع) –فی حدیث– : « **و لا یکون شهداء علی الناس إلّا الأئمة و الرسل، فأما الأمة فإنه غیر جائز أن یستشهدها الله، و فیهم من لا تجوز شهادته فی الدنیا علی خرمة بقل** » [1].

و فی تفسیر العیاشی عن الصادق (ع)، قال: « **ظننت أن الله تعالی عنی بهذه الآیة جمیع أهل القبلة من الموحدین، افتری أنّ من لا تجوز شهادته فی الدنیا علی صاع من تمر، یطلب الله شهادته یوم القیامة و یقبلها منه بحضرة جمیع الأمم الماضیة؟ کلا، لم یعن الله مثل هذا من خلقه، یعنی الأئمة الذین وجبت لهم دعوة إبراهیم، و هم الأمة الوسطی، و هم خیر أمة أخرجت للناس** »[2].

و الأخبار فی هذا المعنی کثیرة مستفیضة.

و من هنا یظهر معنی قوله سبحانه:

« **فکیف إذا جئنا من کل أمة بشهید و جئنا بک علی هؤلاء شهیداً** » [3] ،

فحیث أنه (ص) لیس شاهداً علی الناس من أمته بلا واسطة، بل علی الشهداء منهم، فالمشار إلیهم بقوله: « **علی هؤلاء** » هم الشهداء من کل أمة، المذکور فی الآیة.

و أصرح منها قوله سبحانه:

« **و یوم نبعث فی کل أمة شهیداً علیهم من أنفسهم و جئنا بک شهیداً علی هؤلاء** » [4]؛

و ذلک لمکان قوله تعالی:

« **من أنفسهم** »،

و قوله:

« **نبعث** » و « **و جئنا** » .

فرسول الله کما أنه شهید علی الشهداء من أمته، شهید علی جمیع الشهداء.

و روی القمی فی قوله تعالی:

« **شهیداً علی هؤلاء** »،

یعنی علی الأئمة، فرسول الله شهید علی الأئمة، و هم شهداء علی الناس [1].

---

[1]– مناقب آل أبی طالب: ۱۹۴/۴.

[2]– تفسیر العیاشی:۸۲/۱، الحدیث ۱۱۴.

[3]– سورة النساء الآیة : ۴۱ .

[4]– سورة النمل الآیة : ۸۹.

و فی الإحتجاج عن أمیر المؤمنین (ع) فی حدیث یذکر فیه أحوال أهل الموقف، قال: « **فیقام الرسل فیسألون عن تأدیة الرسالات التی حملوها إلی أممهم، فاخبروا أنهم قد أدّوا ذلک إلی أممهم، و یسأل الأمم فیجحدون کما قال الله:**

« **فلنسئلنّ الذین أرسل إلیهم و لنسئلن المرسلین** » [۲]، فیقولون: « **ما جاءنا من بشیر و لا نذیر** » [۳].

فیستشهد الرسل رسول الله (ص) فیشهد بصدق الرسل و یکذب من جحدها من الأمم، فیقول لکل أمة منهم: بلی قد جاءکم بشیر و نذیر، و الله علی کل شیء قدیر، أی مقتدر بشهادة جوارحکم بتبلیغ الرسل إلیکم رسالاتهم، و لذلک قال الله لنبیِّه: « فکیف إذا جئنا من کل أمة بشهید و جئنا بک علی هؤلاء شهیداً »[۴].- الحدیث.

و روی العیاشی فی تفسیره عن أمیر المؤمنین (ع) فی صفة یوم القیامة، قال (ع): « **یجتمعون فی موطن یستنطق فیه جمیع الخلق فلا یتکلم أحد إلّا من أذن له الرحمن و قال صواباً، فیقام الرسل فیسأل فذلک قوله لمحمد (ص): « فکیف إذا جئنا من کل أمة بشهید و جئنا بک علی هؤلاء شهیداً»، و هو الشهید علی الشهداء، و الشهداء هم الرسل** »[۵].و قد مرّ کلام فی معنی الجحد و الحلف و الکذب الواقع فی هذه الأحادیث.

و من الشهداء الملائکة الکتبة، قال سبحانه:

« **و ما تکون فی شأن و ما تتلوا منه من قرآن و لا تعملون من عمل إلا کنا علیکم شهوداً إذ تفیضون فیه**»[۶].

و قال:

« **و لقد خلقنا الإنسان و نعلم ما توسوس به نفسه و نحن أقرب إلیه من حبل الورید * إذ یتلقی المتلقیان عن الیمین و عن الشمال قعید * ما یلفظ من قول إلا لدیه رقیب عتید** » [۱].

---

[۱]- تفسیر القمی:۱۶۷/۱.

[۲]- سورة الأعراف الآیة ۶.

[۳]- سورة الأعراف الآیة : ۱۹.

[۴]- الإحتجاج:۳۱۸/۱.

[۵]- تفسیر العیاشی:۲۶۸/۱، الحدیث ۱۳۲.

[۶]- سورة یونس الآیة : ۶۱.

إلى أن قال:

« **و جاءت كل نفس معها سائق و شهيد** » [۲] .

و قال سبحانه:

« **و إن عليكم لحافظين * كراماً كاتبين * يعلمون ما تفعلون** » [۳] إلى غير ذلک من الآيات.

و من الشهداء الجوارح و الأعضاء قال سبحانه:

« **اليوم نختم على أفواههم و تكلمنا أيديهم و تشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون** » [۴] .

و قال سبحانه:

« **يوم تشهد عليهم ألسنتهم و أيديهم و أرجلهم بما كانوا يعملون** » [۵] .

و قال سبحانه:

« **و يوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون * حتى إذا ما جاءُوها شهد عليهم سمعهم و أبصارهم و جلودهم بما كانوا يعملون * و قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء و هو خلقكم أول مرة و إليه ترجعون * و ما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم و لا أبصاركم و لا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون * و ذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين** » [۶] .

و سياق الآيات واردة فى أهل النار، فشهادة الجوارح مخصوصة بهم، و هى من الشواهد على شمول خطابات الفروع لغير المؤمنين.

و قوله تعالى:

« **و قالوا لجلودهم** »

وجه تخصيصهم السؤال بالجلود دون الجميع، إن السمع و البصر أرفع عن المادة، و أقرب إلى الحياة و الفهم بخلاف الجلود، و هى الفروج و ما يتلوها فى الحكم، فهى أوغل فى المادة، و شهادتها أعجب و أقطَعَ.

---

[۱]- سورة ق الآيات : ۱۶-۱۸.

[۲]- سورة ق الآية : ۲۱.

[۳]- سورة الانفطار الآيات : ۱۰-۱۲.

[۴]- سورة يس الآية : ۶۵.

[۵]- سورة النور الآية : ۲۴.

[۶]- سورة فصلت الآيات : ۱۹-۲۳.

و قوله تعالى:

« **قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء** ».

جوابها لهم، و قد عدلوا عن الشهادة إلى النطق، ثم إلى الانطاق إشعاراً بأنّ الأمر إلى الله لا إليهم، فلا وجه لعتابهم له بوضعهم موضع المستقل التامّ الاختيار فى أمرهم بعد ما كان نطق كل شىء منه سبحانه و ليس لشىء من الأمر شىء، و لذا أردف ذلک بقوله:

« **و هو خلقكم أول مرة و إليه ترجعون** »،

فالبدء و العَوْد كلاهما له سبحانه، و هو القائم على كل نفس، فليس سبحانه غائباً عن شىء بل هو الرقيب، و إنما يرقب الشىء بالشىء، و يحتجب بالشىء عن الشىء، و لذا أردفه سبحانه بقوله:

« **و ما كنتم تستترون** »

كأنه يقول: ما كنتم تحتجبون عن شهادة الجوارح، لا لأنكم لا تحذرون منها، و من نتيجة شهادتها، ولكن ظننتم استقلال الأشياء و غيبة الحق سبحانه عنها، و أن كل واحد منها منفصل عن الحق، ليس مرصاداً له سبحانه، فظننتم أنه لا يعلم كثيراً مما تعلمون. و هذه هى الغفلة عن الحق سبحانه، و أنه على كل شىء شهيد، و أن كل ما يحضر عند شىء أو يعلمه شىء فهو حاضر عنده بعينه معلوم له بعينه :

« **و ذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين** ».

و اعلم أن هذا الأصل، و هو أن علم الوسائط و قدرتها و سائر كمالاتها بعينها له سبحانه، كثير الفروع فى القرآن، كقوله سبحانه:

« **و ما يعزب عن ربک من مثقال ذرة فى الأرض و لا فى السماء و لا أصغر من ذلک و لا أكبر إلا فى كتاب مبين** » [1] .

و قوله:

« **أم يحسبون إنا لا نسمع سرّهم و نجواهم بلى و رسلنا لديهم يكتبون** » [2] .

و قوله:

« **و لقد خلقنا الإنسان و نعلم ما توسوس به نفسه و نحن أقرب إليه من حبل الوريد * إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين و عن الشمال قعيد** » [1] ،

---

[1]- سورة يونس الآية : ۶۱.

[2]- سورة الزخرف الآية : ۸۰.

إلى غير ذلک من الآيات، فترى أنه سبحانه خلط علمه بعلم الألواح و الكتبة.

و بما مر من المعنى يظهر معنى قوله:

« **ثم تُردّون إلى عالم الغيب و الشهادة فينبّئكم بما كنتم تعملون** » [۲].

و قد تكرّر هذا اللفظ فى القرآن كثيراً.

ثم اعلم أنه يتحصل من الآيات المزبورة أنّ الحياة سارية فى جميع الأشياء؛ إذ إيجاد النطق و الكلام عند شىء ليس شهادة منه إلا إذا كان الكلام له، و هو الحياة، و كذلک إفاضة الحياة يوم القيامة فحسب لشىء و إنبائه عن واقعة قبل اتّصافه بالحياة كوقائع الدنيا ليس شهادة منه؛ إذ لا حضور و لا تحمل.

و بهذا يظهر معنى قوله سبحانه:

« **و من أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة و هم من دعائهم غافلون * و إذا حُشر الناس كانوا لهم أعداء و كانوا بعبادتهم كافرين** » [۳].

و قوله سبحانه فى وصف الهتم:

« **أموات غير أحياء و ما يشعرون أيان يبعثون** » [۴].

و فيما مرَّ من المعانى أخبار كثيرة.

ففى الكافى: عن الباقر (ع) فى حديث: « **و ليست تشهد الجوارح على مؤمن إنما تشهد على من حقت عليه كلمة العذاب، فأما المؤمن فيؤتى كتابه بيمينه** » [۵]الحديث.

أقول: يشير (ع) إلى ما فى ذيل آيات الشهادة المذكورة:

« **و قضينا لهم قرناء فزيّنوا لهم ما بين أيديهم و ما خلفهم و حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن و الإنس إنهم كانوا خاسرين** » [۶].

و فى تفسير القمى [۷] و الفقيه [۱] عن الصادق (ع) فى قوله تعالى:

---

[۱]- سورة ق الآيات : ۱۶-۱۷.

[۲]- سورة التوبة الآية : ۹۴.

[۳]- سورة الأحقاف الآيتان : ۵ و ۶.

[۴]- سورة النحل الآية : ۲۱.

[۵]- الكافى: ۵۸/۲، الباب ۲۰۳، الحديث ۱.

[۶]- سورة فصلت الآية : ۲۵.

[۷]- تفسير القمى: ۲۶۸/۲.

« **شهد عليهم سمعهم و أبصارهم و جلودهم** » [2]الآية،

قال : « **يعنى بالجلود الفروج و الأفخاذ** » .

و فى تفسير القمّى، قال (ع): « **إذا جمع الله الخلق يوم القيامة دفع إلى كل إنسان كتابه، فينظرون فيه فينكرون أنهم عملوا من ذلک شيئاً، فيشهد عليهم الملائكة فيقولون: يا رب، ملائكتک يشهدون لک ثم يحلفون أنهم لم يعملوا من ذلک شيئاً و هو قوله: ثم يبعثهم الله فيحلفون له كما يحلفون لكم، فإذا فعلوا ذلک ختم على ألسنتهم و ينطق جوارحهم بما كانوا يكسبون** » [3].

و من الشهداء: الزمان و المكان و الأيام الشريفة و الشهور و الأعياد و الجمع و الأرض و البقاع و المساجد و غيرها، قال سبحانه:

« **و تلک الأيام نداولها بين الناس و ليعلم الله الذين آمنوا و يتّخذ منكم شهداء و الله لا يحب الظالمين** » [4]

.

و البيان المذكور آنفاً يوضّح هاهنا أن الأيام من الشهود ، و يظهر به أن كلمة « من » فى قوله: « **منكم** » ابتدائية لا تبعيضية، و الشهداء هى الأيام، و قال سبحانه:

« **ثم إلىَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون * يا بُنىّ إنها إن تک مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إنَّ الله لطيف خبير** » [5] .

و البيان السابق عائد هاهنا أيضاً.

و قال سبحانه:

« **و أخرجت الأرض أثقالها * و قال الإنسان مالها * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربک أوحى لها** » [6] .

و فى الكافى: عن الصادق (ع)، قال: « **إنّ النهار إذا جاء قال: يا بن آدم، اعمل فى يومک هذا خيراً أشهد لک به عند ربک يوم القيامة، فإنى لم آتک فيما مضى، و لا آتک فيما بقى، وإذا جاء الليل قال مثل ذلک** » [1].

---

[1]– راجع من لا يحضره الفقيه: ۳۷۰/۲، الباب ۲۲۷.

[2]– سورة فصلت الآية : ۲۰.

[3]– تفسير القمى: ۲۶۷/۲.

[4]– سورة آل عمران الآية : ۱۴۰.

[5]– سورة لقمان الآيتان : ۱۵ و ۱۶.

[6]– سورة الزلزلة الآيات : ۲–۵.

و روى هذا المعنى ابن طاووس فى كتاب محاسبة النفس عن الإمامين الباقر و الصادق (ع)[2].

و روى الصدق فى العلل عن عبد الله الزرّاد، قال: سأل كهمس أبا عبد الله (ع)، فقال: يصلّى الرجل نوافله فى موضع أو يفرّقها؟ فقال: « **لا بل هاهنا و هاهنا، فإنها تشهد له يوم القيامة** »[3].

و من الشهداء: القرآن و الأعمال و العبادات، و سيأتى ملخّص الكلام فيها فى فصل الشفاعة إن شاء الله.

و اعلم أن البرهان أيضاً يفيد ما مرّ من شهادة الشهود، فإنّ الأعمال لا تتحقّق بينها و بين شىء من الموجودات نسبة، إلا و هى متحققة بين الذات و بين ذلک الموجود، فإن الأعمال من تنزّلاتها و وجوداتها قائمة الذات بتلک الذوات. فببقاء الذات تبقى الصادرات عنها بحسب ما يتحقق بها من الوجود، و ببقائها تبقى النسب التى إلى الأشياء، و ببقاء النسب تبقى الأشياء ضرورة كون وجوداتها رابطة لا تتحقق إلا بطرفين، و بحياتها تحيى الجميع، و بحضورها عند الحق سبحانه و بين يديه تعالى بتمام ذاتها و شهادتها و بيانها ما عندها له سبحانه يفعل الجميع ذلک، و الله العالم.

---

[1]- الكافى: ۴۴۷/۲، الباب ۳۸۹، الحديث ۱۲.

[2]- محاسبة النفس: ۱۵.

[3]- علل الشرائع: ۳۹/۲، الباب ۴۶، الحديث ۱.

الفصل العاشر

فى الحساب

من المعلوم أنّ الحساب، و هو كشف المجهول العددى باستعمال الطرق الموصلة إليه، إنما يتأتّى بلحاظ ظرف العلم و الجهل، و أما إذا فرض نفس الواقع مع الغضّ عن العلم و الجهل، فلا موضوع لهذا المعنى الذى نسمّيه حساباً، و إنما الذى فى الواقع و الخارج هو ترتب النتيجة على المقدمات، و المعلول على العلة، فالوضع الذى هو (۶ × ۸ – ۳ × ۶) يتدرّج فيه باستعمال الأسباب و الأعمال الحسابية للحصول على النتيجة و هى (۳۰) بالنسبة إلينا لجهلنا أولاً بذلک، و تحصيلنا العلم بالحساب ثانياً، إن النتيجة هى الثلاثون. و أما ما فى الخارج فإنما هو عدد مع عدد لا انفكاک بينهما و لا فصل أو ترتّب النتيجة على تراكم أمور واقعية موجودة فى الخارج ليس بينهما فرجة زمانية و لا فاصلة مكانية.

و علمه سبحانه بالأشياء الواقعية حيث كان، عين تلک الأشياء الواقعية على ما تعطيه الأصول البرهانية دون الصور المنتزعة عن الخارج مثل علومنا الحصولية كان القول فى علمه سبحانه عين القول فى الأمور الواقعية، فحسابه سبحانه عين حساب الواقع، و هو ترتب نتائج الـأمور عليها فيما كان هناک أثر مترتّب، و قد أخبر سبحانه أن لكل شىء أثراً فى جانبى السعادة و الشقاوة يترتب عليه فى الدنيا.

قال سبحانه:

« **قال أنا يوسف و هذا أخى قد من الله علينا أنه من يتق و يصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين** » [۱] .

و قال:

« **نصيب برحمتنا من نشاء و لا نضيع أجر المحسنين** » [۲] .

و قال:

« **و لو أنّ أهل القرى آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء** » [۳] .

و قال:

---

[۱]– سورة يوسف الآية : ۹۰ .

[۲]– سورة يوسف الآية : ۵۶ .

[۳]– سورة الأعراف الآية : ۹۶ .

« **ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله** » [1] .

و قال:

« **و كأين من قرية عتت عن أمر ربها و رسله فحاسبناها حساباً شديداً و عذّبناها عذاباً نكراً * فذاقت و بال أمرها و كان عاقبة أمرها خسراً * أعد الله لهم عذاباً شديداً** » [2] .

و قال:

« **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * و من يعمل مثقال ذرة شراً يره** » [3] .

و من هذا الباب قوله سبحانه:

« **و ماأصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** » [4] .

و قوله:

« **ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله** » [5] .

و الآيات فی هذا المعنی کثیرة جداً، و هی علی کثرتها تفید أن نتائج الأمور تتبعها لا محالة فی الدنیا و الآخرة، کما أن البرهان أیضاً یفید ذلک.

ثم إن الأمور و نتائجها لا توجد بنفسها و لا بإیجادها، بل بإفاضة منه سبحانه لوجودها فاستتباعها نتائجها استفاضتها منه سبحانه لنتائجها المترتبة علیها. کما أن ارتزاق المرزوقین استفاضتها منه سبحانه ما یدیم به بقاءها من الوجود، فالحساب کالرزق بوجه، فلا تزال سحابة الفیض تشرب من بحر الرحمة و تمطر مطر الفیض علی بحر الإمکان، فکل قطرة لا حقة تستمدّ بها سابقتها، و هو الرزق، و ترفع بها حاجتها التی تستحقّها و تقتضیها، و هو الحساب، فکما أن إفاضة الرزق لها دائم مستمر ضروری، کما قال سبحانه:

« **إنه لحق مثل ما أنکم تنطقون** » [6]،

فکل الحساب بینهما دائم مستمر ضروری.

---

[1]- سورة الروم الآیة : ۱۰.

[2]- سورة الطلاق الآیة : ۸-۱۰.

[3]- سورة الزلزلة الآیتان : ۷ و ۸.

[4]- سورة الشوری الآیة : ۳۰.

[5]- سورة التغابن الآیة : ۱۱.

[6]- سورة الذاریات الآیة : ۲۳.

و فی النهج (ع) کیف یحاسب الله الخلق علی کثرتهم ؟ فقال (ع) : « **کما یرزقهم علی کثرتهم** »، فقیل : فکیف یحاسبهم و لا یرونه؟ قال: « **کما یرزقهم و لا یرونه** » [1]،و هو أنفس کلام فی هذا الباب.

و بالجملة بالأمور، و منها الأعمال، لا تنفکّ عن حسابها عند تحققها فی الخارج أدنی إنفکاک قال سبحانه: « **و الله یحکم لا معقّب لحکمه و هو سریع الحساب** » [2] .

و قال سبحانه:

« **ألا له الحکم و هو أسرع الحاسبین** » [3] .

إذ مع إختصاص الحکم به سبحانه و عدم وجود حاکم غیره یضاد بحکمه حکمه، و یدفع به أمره بنحو من الأنحاء بإبطال و تعویق و تضعیف و إنظار، لا یتصور لحکمه سبحانه بطء و تعویق و تأخیر، و لا یمکن فیه مساءة و لا صعوبة و لا یسر و لا عسر و لا غیرها.

فهذه المعانی إذا أطلقت یراد بها حصول معانیها بالنسبة إلی إدراک المحاسبین بصیغة المفعول، کقوله سبحانه: « **و یخافون سوء الحساب** » [4] .

و قوله:

« **فحاسبناها حساباً شدیداً** » [5] .

و قوله:

« **تعرج الملائکة و الروح إلیه فی یوم کان مقداره خمسین ألف سنة** » [6] .

و روی فی المجمع عن أبی سعید الخدری، قال: قیل: یا رسول الله، ما أطول هذا الیوم؟ فقال (ص): « **و الذی نفس محمد بیده، إنه لیخفف علی المؤمن حتی یکون أخفّ علیه من صلاة مکتوبة یصلّیها فی الدنیا** » [7].

و فیه أیضاً عن أبی عبد الله (ع)، قال: « **لو ولی الحساب غیر الله لمکثوا فیه خمسین ألف سنة من قبل أن یفرغوا، و الله سبحانه یفرغ من ذلک فی ساعة** » [1].

---

[1]– نهج البلاغة: ۵۲۸، حکم أمیر المؤمنین رقم ۳۰۰.

[2]– سورة الرعد الآیة : ۴۱ .

[3]– سورة الأنعام الآیة : ۶۲ .

[4]– سورة الرعد الآیة : ۲۱ .

[5]– سورة الطلاق الآیة : ۸ .

[6]– سورة المعارج الآیة : ۴ .

[7]– تفسیر مجمع البیان: ۵۳۱/۱۰.

أقول: و بهذين الخبرين يظهر معنى قوله تعالى:

« **كان** » الآية.

فيخفف ذلک على المؤمنين لأن وجوههم يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، فيرون الأمر على حقيقته و ما أمر الساعة إلا كلمح البصر، و يطول على الكافرين و الفاسقين؛ لأنهم يومئذ عن ربهم لمحجوبون، فالاختلاف من جانب الناس و غيره، و أما بالنسبة إليه سبحانه فأمره واحد لا اختلاف فيه. و بالجملة: فأمر الحساب كما عرفت جار دائماً، و أما إختصاص يوم القيامة بوقوع الحساب فيه فهو من قبيل إختصاصه فى كلامه تعالى بخصال أخرى غير مختصة به ظاهراً، كإختصاص الملک يومئذ لله، و بروز الناس يومئذ لله، و كون الأمر يومئذ لله، و غير ذلک. و قد عرفت فيما مر معنى ذلک، فوقوع الحساب فيه هو ظهور النتيجة حقيقة بتمام المعنى، فهو ظهور نتيجة الخلقة و وصول الممكن إلى غاية سيره فى سبيله من الله إليه.

قال سبحانه:

« **و نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً و إن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها و كفى بنا حاسبين** » [٢].

و قال:

« **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً و أنكم إلينا لا ترجعون** » [٣].

و قال:

« **و أن إلى ربک المنتهى** » [٤].

و من هنا يظهر أن الإنسان كلما قرب من طريق السعادة ملازماً للصراط المستقيم كان الحساب عليه يسيراً، فإنه أقرب إلى النتيجة المقصودة من الخلقه، قال سبحانه:

« **فأما من أوتى كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حساباً يسيراً** » [٥].

---

[١]- تفسير مجمع البيان: ٥٣١/١٠.

[٢]- سورة الأنبياء الآية : ۴٧.

[٣]- سورة المؤمنون الآية : ١١٥.

[٤]- سورة النجم الآية : ۴٢.

[٥]- سورة الانشقاق الآيتان : ٧ و ٨.

و كلما بعد عن الحق و نكب عن مستقيم الصراط كان الحساب عليه عسيراً، فإنه أبعد عما أودع الله عزّوجلّ فى فطرته من نتيجة الخلقة و غاية الوجود، قال سبحانه:

« **فذلک يومئذ يوم عسير * على الكافرين غير يسير** » [1].

و قال:

« **و يقول الكافر يا ليتنى كنت تراباً** » [2].

و قال:

« **و أما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه * و لم أدر ما حسابيه** » [3].

و ينتهى الأمر من الطرفين إلى من لا حساب له ممن لا يليه إلّا ربه، فلا عمل له، فلا كتاب و لا حساب، و هم المخلصون المقربون، قال سبحانه:

« **فإنهم لمحضرون * إلا عباد الله المخلصين** » [4].

و ممن لا مولى لهم فحبطت أعمالهم، فلا كتاب لهم فلا وزن و لا حساب.

روى فى المعانى عن الباقر (ع)، قال: قال رسول الله (ص):« **كل محاسب معذب** »، فقال قائل: يا رسول الله، فأين قول الله : « **فسوف يحاسب حساباً يسيراً** »؟ قال (ص): « **ذلک العرض يعنى التصفح** » [5].أقول: و هذا حديث أطبق الفريقان على رواية معناه و اتفقوا على صحّته.

و روى العياشى و غيره بطرق متعددة عن الصادق (ع) فى قوله سبحانه: « **و يخافون سوء الحساب** » [6]« **إن معناه الاستقصاءِ (و المداقة)، و أنه يحسب لهم السيئات، و لا يحسب لهم الحسنات** » [7].

و ممّا مرّ يتّضح أمر السؤال، و هو من توابع الحساب، فإن السؤال و هو إستيضاح ما عند المسؤول من حقيقة الأمر، و الأمر يومئذ يدور مدار تفريغ ما عند النفس بحسب الحقيقة من تبعاتها و لواحقها و أذنابها التى اكتسبتها من السعادة و الشقاوة، و تفريغ حسابها و توفية نتيجته لها، قال سبحانه:

---

[1]– سورة المدثر الآيتان : ٩ و ١٠.

[2]– سورة النبأ الآية : ۴٠.

[3]– سورة الحاقة الآيتان : ٢۵ و ٢۶.

[4]– سورة الصافات الآيتان : ١٢٧ و ١٢٨.

[5]– معانى الأخبار: ٢۶٢، باب كل محاسب معذب، الحديث ١.

[6]– سورة الرعد الآية : ٢١.

[7]– تفسير العياشى:٢٢۵/٢، الحديث ٣٩.

« **يوم تبلى السرائر** » [1] ،

و هى مكامن النفوس.

و قال سبحانه:

« **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل** » [2] .

و قال سبحانه:

« **و لا يكتمون الله حديثاً** » [3] .

و قال سبحانه :

« **و إن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله** » [4] .

و ما ورد أن الآية منسوخة بقوله تعالى:

« **إلّا اللمم إن ربک واسع المغفرة** » [5] ،

فمعنى النسخ هو التفسير، و البيان دون بيان غاية الحكم و انقضائها، فان ذلک مختص بالشرائع و الأحكام غير جائز فى الحقائق.

و قال سبحانه:

« **فوربک لنسألنّهم أجمعين * عما كانوا يعملون** » [6] .

و قال: « **فلنسئلن الذين إليهم و لنسئلن المرسلين** » [7] .

و قال:

« **وقفوهم إنهم مسؤولون** » [8] .

---

[1]- سورة الطارق الآية : ۹.

[2]- سورة الأنعام الآية : ۲۸.

[3]- سورة النساء الآية : ۴۲.

[4]- سورة البقرة الآية : ۲۸۴.

[5]- سورة النجم الآية : ۳۲.

[6]- سورة الحجر الآيتان : ۹۲ و ۹۳.

[7]- سورة الأعراف الآية : ۶.

[8]- سورة الصافات الآية : ۲۴.

و اعلم أن هذه الآيات تعطى عموم السؤال و الحساب لجميع الأعمال و النعم، و هو المحصل من جماعة الأخبار.

ففى نوادر الراوندى بإسناده عن موسى بن جعفر (ع)، عن آبائه (ع)، قال: قال رسول الله (ص): « **كل نعيم مسؤول عنه يوم القيامة إلا ما كان فى سبيل الله** » [1].

و فى أمالى المفيد مسنداً عن ابن عيينة، قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: « **ما من عبد إلا و لله عليه حجة، إما فى ذنب اقترفه، و إما فى نعمة قصّر عن شكرها** » [2].

و فى كتاب الحسين بن سعيد، عن الصادق (ع): « **الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوان فيه النعم، و ديوان فيه الحسنات، و ديوان فيه الذنوب، فيقابل بين ديوان النعم و ديوان الحسنات، فتستغرق عامة الحسنات و تبقى الذنوب** » [3]، و الأخبار فى هذه المعانى كثيرة.

و أجمعها معنى ما رواه الصدوق فى التوحيد، عن ابن أُذينة، عن الصادق (ع)، و قال: قلت له: جعلت فداك، ما تقول فى القضاء و القدر؟ قال: « **أقول إن الله إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عما عهد إليهم، و لم يسألوا عما قضى عليهم** »[4] الحديث.

نعم، روى أصحابنا عن علىّ و الباقر و الصادق و الرضا (ع) فى قوله سبحانه:

« **و لتسئلن يومئذ عن النعيم** » [5].

أن المراد بالنعيم هو الولاية لا ما يرتفع به الحوائج الإنسانية من مأكول و مشروب و ملبوس و غيرها.

فعن الصادق (ع) أنه قال لأبى حنيفة: « **بلغنى أنک تفسّر النعيم فى هذه الآية بالطعام الطيب و الماء البارد فى اليوم الصائف** »، قال: نعم، قال (ع): « **لو دعاک رجل و أطعمک طعاماً طيباً، و سقاک ماءً بارداً، ثم امتنّ عليک به، إلى ما كنت تنسبه؟** » قال: إلى البخل، قال (ع): « **افبخل الله تعالى؟** »، قال: فما هو؟ قال (ع): « **حبّنا أهل البيت** » [6].

---

[1]- نوادرذ الراوندى: ۱۳۷، الحديث ۱۸۲.

[2]- ورد فى بحار الأنوار نقلا عن أمالى المفيد: ۲۶۲/۷، باب ۱۱ محاسبة العباد، الحديث ۱۳.

[3]- بحار أنوار: ۲۶۲/۷، الباب ۱۱ كتاب العدل، ح ۳۴.

[4]-التوحيد: ۳۵۴، الباب ۶۰، الحديث ۳.

[5]- سورة التكاثر الآية: ۸.

[6]- بحار أنوار: ۴۹/۷، باب ۱۱ كتاب العدل، مع اختلاف يسير.

و فی الإحتجاج عن علیّ (ع) –فی حدیث–: « **إن النعیم الذی یسأل عنه رسول الله و من حلّ محلّه من أصفیاء الله فإن الله أنعم بهم علی من اتّبعهم من أولیائهم** »[1].

و فی المحاسن: عن أبی خالد الکابلی: عن الباقر (ع)، فی حدیث بعد ذکر الآیة، قال (ع): « **إنما تسألون عما أنتم علیه من الحق** »[2]الحدیث.

و الإعتبار العقلی یساعد هذا المعنی، فإنّ الولایة، و هی معرفة الله و التحقق بها حیث کانت غایة الخلقة لا غایة غیرها، فکل إفاضة إنما تکون نعمة و ملائمة للکمال و الراحة إذا وقعت فی طریق الغایة، أو لو حظت من حیث صحّة وقوعها فی طریقها، لکنها بعینها إذا وقعت فی طریق یضاد الغایة صارت نقمة، و إذ لم تقع فی طریق أصلاً کانت لغواً باطلاً، فکل شیء نعمة من حیث إیصاله الإنسان إلی ساحة الولایة، و أما مع الغضّ عن ذلک فلا نعمة. فصحّ أن النعمة المطلقة هی التوحید، و النبوة، و الولایة، کما فی بعض الروایات. وصحّ أن النعمة بالنسبة إلینا هی الولایة کما فی بعض آخر، فافهم و الله الولی الحق.

---

[1]– الإحتجاج: ۳۳۲/۱.

[2]– المحاسن: ۱۶۳/۲، الباب ۶، الحدیث ۸۳.

الفصل الحادى عشر

فى الجزاء

قال سبحانه:

« **ليجزى الذين أساؤا بما عملوا و يجزى الذين أحسنوا بالحسنى** » [1] .

و مجازاة المحسن بالجنة و المسىء بالنار فيها آيات كثيرة جداً، و قد جعلها سبحانه أحد الدليلين على وقوع الحشر، فقال:

« **و ما خلقنا السماء و الأرض و ما بينهما باطلاً ذلک ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار * أم نجعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار** » [2] .

فإن الحكيم من حيث هو حكيم، كما يستحيل أن يفعل فعلاً لا غاية له و لا نتيجة متولدة من فعله كما هو مفاد الدليل الأول، كذلک يستحيل عليه أن يهمل أمر جماعة فيهم الصالح و الطالح، و الظالم و المظلوم، فلا يجازى المحسن بإحسانه و المسىء بإساءته.

ثم إنک ترى أنه سبحانه أقرّ النسبة بين العمل و الجزاء، فالإحسان يجزى بالإحسان و الإساءة تجازى بالإساءة، ثم جاوز وعده و وعيده مطلق الإحسان و الإساءة، فأيّد بذلک أن الأعمال و جزائها نسبا خاصة و ارتباطات مخصوصة، ثم جاز كلامه سبحانه ذلک بان أخبر بالعينيّة و الإتحاد بين العمل و جزائه، قال سبحانه:

« **و لكل درجات مما عملوا و ليوفّيهم أعمالهم و هم لا يظلمون** » [3] .

---

[1]- سورة النجم الآية : ٣١.

[2]- سورة ص الآيتان : ٢٧ و ٢٨.

[3]- سورة الأحقاف الآية : ١٩.

فصدْر الآية يحكى عن النسبة المذكورة، و وسطها عن الاتحاد بين العمل و الجزاء، و ذيلها عن الجزاء العادل، و هو سبب النسبة و العينية المذكورتين، و ما ذكرناه من معنى الحساب و حقيقته فى الفصل السابق عائد هاهنا أيضاً إليه تعالى و قال سبحانه:

« **و اتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفّى كل نفس ما كسبت و هم لا يظلمون** » [1].

و قال:

« **و ما تنفقوا من خير يوفّ إليكم و أنتم لا تظلمون** » [2].

و قال :

« **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * و من يعمل مثقال ذرة شراً يره** » [3].

إلى غير ذلک من الآيات الكثيرة الدالة على أن ما يعمله الإنسان من خير أو شر سيُرَدّ إليه بعينه.

ثم شرح سبحانه معنى هذه العينية فقال:

« **إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب و يشترون به ثمناً قليلاً أولئک ما يأكلون فى بطونهم إلا النار و لا يكلّمهم الله يوم القيامة و لا يزكّيهم و لهم عذاب أليم** » [4].

فبين أنّ معصيتهم على كونها فى هذه النشأة فى صورة كتمان ما أنزل الله و شراء الثمن القليل بذلک، فهى بعينها متصوّرة فى الباطن بصورة أكل النار كما ورد مثله فى أكل مال اليتيم ظلماً، ثم أردف سبحانه ذلک بقوله:

« **أولئک الذين اشتروا الضلالة بالهدى و العذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار** » [5].

فبيّن أن هؤلاء بدّلوا الهدى و المغفرة بهذا الضلال و العذاب، و الهدى و المغفرة مرتبان على الإستقامة و التقوى، كما أن أكل النار و الضلالة و العذاب تترتّب على الكتمان و الشراء المذكورين، فالتعرّض منه سبحانه بالتبديل فيما يترتّب على المعاصى دون ظاهر نفس المعاصى و تبديله سبحانه أكل النار و أخواته بمعنى عام

---

[1]- سورة البقرة الآية : ٢٨١ .

[2]- سورة البقرة الآية : ٢٧٢.

[3]- سورة الزلزلة الآيتان : ٧ و ٨.

[4]- سورة البقرة الآية : ١٧٤.

[5]- سورة البقرة الآية : ١٧٥.

و هو الضلال و العذاب بيان منه تعالى لكون تبديل صورة الأفعال مطرداً فى جانبى الطاعات و المعاصى جميعاً، فافهم و تدبّر.

ثم بين سبحانه ذلک فى المؤمنين خاصّة فقال:

« **الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور** » [1].

و قال:

« **أولئک كتب فى قلوبهم الإيمان و أيّدهم بروح منه** » [2]،

و هو روح الإيمان.

و قال:

« **ولكن جعلناه** »،

أى النور المنزل على رسول الله

« **نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا** » [3]،

و هو روح القدس.

و قال:

« **يؤتكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نوراً تمشون به و يغفر لكم** » [4].

و قال:

« **لهم أجرهم و نورهم** » [5]،

إلى غير ذلک من الآيات.

و بالجملة فصُوَر علومهم و أخلاقهم و أعمالهم و أنوار إلهية طاهرة موهوبة تطهّرهم من الأرجاس و تنجيهم من الظلمات، فيشاهدون به عظمة الله و كبرياءه و ملكوت السموات و الأرض، طوبى لهم و حسن مآب.

ثم بيّن ذلک فى الكافرين و الفاسقين، فقالعزّ من قائل:

---

[1]- سورة البقرة الآية : ۲۵۷.

[2]- سورة المجادلة الآية : ۲۲.

[3]- سورة الشورى الآية : ۵۲.

[4]- سورة الحديد الآية : ۲۸.

[5]- سورة الحديد الآية : ۱۹.

« و الذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات » [1] .

و قال:

« والذين كذّبوا بآياتنا صمٌّ و بكم فى الظلمات من يشإ الله يضلله و من يشأ يجعله على صراط مستقيم » [2] .

و قال:

« أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزّاً » [3] .

و قال:

« و إنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم » [4] .

و قال:

« و من يَعشُ عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين » [5] .

و قال:

« كذلک زيّنّا لكل أمة عملهم » [6] .

إلى إن قال:

« و نقلّب أفئدتهم و أبصارهم » [7] .

و قال:

« فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام و من يرد أن يضلّه يجعل صدره ضعيقاً حرجاً كأنما يصعّد فى السماء كذلک يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » [8] .

---

[1]- سورة البقرة الآية : ٢٥٧.

[2]- سورة الأنعام الآية : ٣٩.

[3]- سورة مريم الآية : ٨٣.

[4]- سورة الأنعام الآية : ١٢١.

[5]- سورة الزخرف الآية : ٣٦.

[6]- سورة الأنعام الآية : ١٠٨.

[7]- سورة الأنعام الآية : ١١٠.

[8]- سورة الأنعام الآية : ١٢٥.

و قال:

« إنا جعلنا فی أعناقهم أغلالاً فهی إلی الأذقان فهم مقمحون * و جعلنا من بین أیدیهم سداً و من خلفهم سداً فأغشیناهم فهم لا یبصرون » [1] .

و قال:

« و الذین کفروا أعمالهم کسراب بقیعة یحسبه الظمآن ماء حتی إذا جاءه لم یجده شیئاً و وجد الله عنده فوفّاه حسابه و الله سریع الحساب » [2] .

فأخبر سبحانه أن الشرک بالله و المعاصی علی اختلاف تصوّراتها توجب خروجهم من النور إلی عالم الظلمات، فیضلّهم الله عزّوجلّ فی الظلمات، و یصمّهم، و یبکمهم، و یرسل الشیاطین إلیهم، و هم قرناؤهم إلی یوم القیامة، فیقطب أبصارهم و أفئدتهم فلا یقصدون إلا السراب الباطل، و لا یقدرون أن یروموا الحق و یتناولوه کباسط کفّیه إلی الماء لیبلغ فاه و ما هو ببالغه، بل الأغلال فی أعناقهم و السدود من بین أیدیهم و من خلفهم و هم المغشیون، و لیس کل ذلک إلّا صور الأعمال و نتیجة الحساب فیما یعتبر فیه ثواب و عقاب .

و کثیر من الأخبار، یشهد بذلک، فعن رسول الله (ص) : **« کما تعیشون تموتون، و کما تموتون تبعثون »**[3]. –الخبر، و هو فی جوامع الکلم، و هو مع قوله (ص): **« الناس معادن کمعادن الذهب و الفضة »** [4]–الخبر، یعطیان علم مبدأ الإنسان و معاده بالاستیفاء.

و فی الکافی عن الصادق (ع)، قال: **« إذا وضع المیت فی قبره مثّل له شخص فقال: یا هذا، کنّا ثلاثة: کان رزقک فانقطع بانقطاع أجلک، و کان أهلک فخلفوک و انصرفوا عنک، و کنت عملک فبقیت معک. أما إنی کنت أهون الثلاثة علیک »** [5].

و عن البهائی (ره)، قال: روی أصحابنا عن قیس بن عاصم، قال: و فدت مع جماعة من بنی تمیم علی النبیّ (ص)، فدخلت علیه و عنده الصلصال بن الدلهمس فقلت: یا رسول الله، عظنا موعظة ننتفع بها، فإنا قوم نعیر فی البریة، فقال رسول الله: **« یاقیس، مع العزّ ذلّاً، و أنّ مع الحیاة موتاً، و أنّ مع الدنیا آخرة، و أنّ لکل شیء**

---

[1]– سورة یس الآیتان : ۸ و ۹.

[2]– سورة النور الآیة : ۳۹.

[3]– عوالی اللئالی: ۷۲/۴.

[4]– بحار أنوار: ۶۵/۵۸، الباب ۴۲ کتاب السماء و العالم، الحدیث ۵۱.

[5]– الکافی: ۲۲۸/۳، الباب ۱۵۹، الحدیث ۱۴.

حسيباً، و أنّ لكل أجل كتاباً، و إنه لا بدّ لک يا قيس من قرين يدفن معک و هو حيّ و أنت ميّت، فإن كان كريماً أكرمک، و إن كان لئيماً أسلمک، ثمّ لا يحشر إلا معک و لا تحشر إلا معه، و لا تسأل إلا عنه فلا تجعله إلا صالحاً، فإنه إن صلح أنست به، و إن فسد لا تستوحش إلّا منه، و هو فعلک » [1]–الخبر.

و الأخبار فی تمثیل الصوم و الصلاة و الزكاة و الولاية و الصبر و الرفق و القرآن و التسبيح و التهليل و سائر العبادات و المعاصی بصور تعطيها معانيها أكثر من أن تحصی، و البرهان المذكور سابقاً يعطی ذلک.

و أيضاً الثواب و العقاب إنما هما على الطاعة و المعصية، أی موافقة الأمر و مخالفته، و هو كما ذكرناه فی رسالة الإنسان فی الدنيا أمر اعتبارى وهمی، و الثواب و العقاب الآجلان من الأمور الحقيقية الواقعية و النسبة الرابطة بين الأمر و الاعتبارى و الحقيقی ممتنعة، إلا بكون الآخر الاعتبارى مكتنفاً بأمر حقيقی، و حيث إن الإنسان بثبوته يثبت الطاعة و المعصية. و لو فرضنا رفع ما عداه و بارتفاعه يرتفعان، و لو فرضنا وضع ما عداه فهذا الأمر الحقيقی مع الإنسان، و هو مجموع النفس و البدن. و البدن يتبدّل بالتدريج قطعاً مع بقاء صفة الطاعة و المعصية و السعادة و الشقاوة، فالذى يدور مداره الأمر هو الروح الذى هو الإنسان، فمع الإنسان معنى هو المصحّح للنسبة المذكورة، و هو المعانى المخصوصة من خصوصيّات الطاعات و المعاصی.

[1]– أمالی الصدوق: ۵۰، المجلس الأول، الحديث ۴.

الفصل الثانى عشر

فى الشفاعة

قال سبحانه:

« **و اتقوا يوماً لا تجزى نفس شيئاً و لا يقبل منها شفاعةٌ و لا يؤخذ منها عدل و لا هم ينصرون** » [1] .

و قال:

« **واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً و لا يقبل منها عدلٌ و لا تنفعها شفاعة و لا هم ينصرون** » [2] .

و قال:

« **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه و لا خلة و لا شفاعة** » [3] .

تنفى الآيات قبول شفاعة من نفس فى نفس، غير أنّ هناک آيات أخر تخصص هذا العموم و تفسّره كما تخصّص عموم عدم النصر و تفسره، قال سبحانه:

« **يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً و لا هم ينصرون * إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم** » [4] .

و قال:

« **من ذا الذى يشفع عنده إلّا بإذنه يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم** » [5] .

و قال:

« **و لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له** » [6] .

فبين سبحانه أنّ الشفاعة يومئذ لا تقع و لا تنفع إلا بإذن للشافع فى شفاعته و للمشفوع فى الشفاعة له، و قد فسَّر الإذن للشافع بقوله:

« **يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن و رضى له قولاً** » [7] .

---

[1]- سورة البقرة الآية : ۴۸.

[2]- سورة البقرة الآية : ۱۲۳.

[3]- سورة البقرة الآية : ۲۵۴.

[4]- سورة الدخان الآيتان : ۴۱ و ۴۳.

[5]- سورة البقرة الآية : ۲۵۵.

[6]- سورة سبأ الآية : ۲۳.

[7]- سورة طه الآية : ۱۰۹.

فإذنه سبحانه رضاه بقوله، أى كون قوله، و هو شفاعته مرضياً، و قال سبحانه:

« **يوم يقوم الروح و الملائكة صفّا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن و قال صواباً** » [1] .

فالقول المرضى هو القول الصواب، و قد أسلفنا فى فصل الشهادة أنّ مرجع ذلک إلى انتهاء أعمال العاملين و لحوقها بهذا الذى اذن له القول الصواب، و حضورها له و وساطته فى إفاضة الفيوضات الإلهية لهم و يرجع ذلک إلى تمكين الحقّ سبحانه للشافع من شهادة حقائق الأعمال و العلم بها كما قال سبحانه:

« **و لا يملک الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق و هو يعلمون** » [2] .

و بالجملة، فإذن سبحانه فى قول هو الرضا عنه، و من المعلوم أنّ الرضا لا يتعلق إلا بكمال الشىء من حيث إنه كمال، فالقول المرضى عنه هو كمال القول، و هو كونه صواباً، فالمأذونون مرضيّون فى قولهم، صائبون فى علمهم، مرضيّون فى ذاتهم، إذ القول فى آثار الذات و لا يستكمل أثر من آثار الذات إلا بعد استكمال نفسه التى هى المبدأ، و هو ظاهر دون العكس؛ إذ الذات يمكن أن يقع مرضيّاً لطهارة محتدة، و خلوص عقائده و لا يقع مرضيّاً فى أفعاله و آثاره لورود مانع حاجب.

و الحاصل: أنّ الشافعين هم الذين رضى الله عنهم، و رضى قولهم، أى شهد كمالهم، و كمال قولهم لا يشوبه نقص و لا خطأ، أى أنّ علمهم علمه سبحانه لم يختلط بشبهات الأوهام و خطأ الأهواء، فإن العلم فيما يحبط به و يصدق هو له سبحانه. قال تعالى:

« **و لا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء** » [3] .

و لذلک فإنّ النبيّين، و هم السابقون من المرضيّين، ينفون العلم عن أنفسهم، إذا خاطبهم الله سبحانه:

« **يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أُجبتم قالوا لا علم لنا إنک أنت علام الغيوب** » [4] .

مع أنّ العلوم التى معهم أكثر و أصدق من علوم غيرهم بلا شكّ، فهؤلاء باقون على طهارة الذات الأصليّة موفون بعهدهم الذى واثقوه مع ربهم، قال سبحانه:

« **لا يملكون الشفاعة إلَّا من اتخذ عند الرحمن عهداً** » [5] .

---

[1]– سورة النبأ الآية : ٣٨.

[2]– سورة الزخرف الآية : ٨٦ ، فقد أخذ سبحانه فى تملّک الشافع للشفاعة قيدين، و هما: العلم و كون الشفاعة بالحقّ دون الباطل، و الظاهر أنّ المراد بالشهادة هو التحمّل دون الأداء و إن كان مرجعهما واحداً. (منه ره).

[3]– سورة البقرة الآية : ٢٥٥.

[4]– سورة المائدة الآية : ١٠٩.

[5]– سورة مريم الآية : ٨٧.

و بالجملة فالشافعون هم المرضيّون ذاتاً و أعمالاً.

و مثل ذلک فی الذات مأخوذ فی جانب المشفوعين، قال سبحانه :

« **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** » [1] .

فالإرتضاء مطلق و ليس ناظراً إلى الأعمال، فإنّ الشفاعة إنما هی فيها، فالإرتضاء إنما تعلق بهم لا بأعمالهم، أی أنّ نفوسهم طاهرة بالإيمان و يشهد به أيضاً قوله سبحانه:

« **و لا يرضى لعباده الكفر و إن تشكروا يرضه لكم** » [2] ،

يشعر بأنّ الإيمان، و هو مقابل الكفر مرضی له.

ثم إنه سبحانه قال:

« **فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين** » [3]،

فبان بذلک أنّ نفع الشفاعة هو تبدّل السيئات التی توجب الفسق بغيرها من الحسنات بسببها حتی يحصل الرضا رضی الرب، و قد وعد سبحانه مغفرة الصغائر من المعاصی لمن اجتنب الكبائر منها، فقال:

« **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم** » [4] .

و قال سبحانه:

« **الذين يجتنبون كبائر الإثم و الفواحش إلا اللمم إن ربک واسع المغفرة** » [5] .

فلم يبق لسخط الرب سبحانه و عدم رضاه إلا الكبائر، فهی المستحقّ بها للشفاعة، و قد صحّ عن النبیّ (ص) فيما رواه الفريقان قوله (ص): « **إنما شفاعتی** [6] **لأهل الكبائر من أمتی** » [7]، و ما فی معناه، فالشفاعة إنما توجب تبدّل هذه الكبائر، قال سبحانه:

« **إلا من تاب و آمن و عمل عملاً صالحاً فأولئک يبدّل الله سيئاتهم حسنات** » [1] .

---

[1]– سورة الأنبياء الآية : ۲۸.

[2]– سورة الزمر الآية : ۷.

[3]– سورة التوبة الآية : ۹۶.

[4]– سورة النساء الآية : ۳۱.

[5]– سورة النجم الآية : ۳۲.

[6]– و يظهر مما قدّمناه من القول فی باب الشهادة من عموم شفاعته (ص) أن المراد بالشفاعة هو الشفاعة الخاصة فی الحديث أو أنّ من أمتی متعلق بقوله :«شفاعتی» (منه ره).

[7]– من لا يحضره الفقيه: ۳۶۹/۳، الباب ۱۷۹ معرفة الكبائر، الحديث ۳۳.

فالشفاعة -كما ترى- تحلّ محلّ العمل الصالح، و قال سبحانه :

« **إليه يصعد الكلم الطيّب و العمل الصالح يرفعه** » [٢] .

فالشفاعة كالعمل الصالح تفيد رفع الكلم الطيّب، و هو الإيمان إلى الله سبحانه، فالشفاعة توجب لحوق المذنبين من المؤمنين فقط بالصالحين منهم، فمثل الشفاعة كمثل البدن إذا اعتراه مرض أو قرحة مخطورة، فإن المزاج إذا كان قويّاً، و الطبيعة البدنية سالمة أصلحت الصحّة و دفعت المرض عنه، و إلا احتيج إلى علاج بالضدّ ودواء يبطل فعل المرض و ينصر الطبيعة فى إعادتها صحّة البدن إليه، و تبديلها المواد الفاسدة المجتمعة فيه إلى الصالحة الملائمة له، فالفاعل للصحّة على كل حال هى الطبيعة، غير أنها مستقلّة فى فعلها حيناً ما و محتاجة إلى ناصر ينصرها حيناً ما، و لذلک فإنه سبحانه يكرّر القول:

« **لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت** » [٣].

و أصرح من ذلک محلاً قوله سبحانه:

« **و الذين آمنوا و اتّبعتهم ذرّيتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيّتهم و ما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين** » [٤] ،

فبين أولاً انه سيلحق ذريتهم بآبائهم فى درجاتهم، لا فى أصل الرحمة لقوله:

« **و ما ألتناهم من عملهم من شيء** » الآية.

ثم أردفه بقوله تعالى:

« **كل امرئ بما كسب رهين** » الآية.

فعدّ هذا اللحوق من الكسب مع أن أعمالهم دون ذلک، فعلمنا به أن الإيمان، يوجب اتّصالاً ما من الدانى بالعالى، و إذا حجبها من الاستواء فى الدرجات حاجب مانع من القصور، أصلحه الإيمان و ارتفعا جميعاً إلى درجة واحدة، و هذه حال الشفاعة توجب لحوق المشفوع بالشافع، ثم إصلاح أعماله السيئة و جعلها حسنة بذلک.

و فى قوله:

---

[١]- سورة الفرقان الآية : ٧٠.

[٢]- سورة الفاطر الآية : ١٠.

[٣]- سورة البقرة الآية : ٢٨٦.

[٤]- سورة الطور الآية : ٢١.

« **يبدّل الله سيئاتهم حسنات** » [1]الآية،

إشارة إلى ذلک؛ إذ لولا أصل محفوظ بين المبدّل و المبدّل منه، كان التبديل إعداماً للمبدّل و إيجاداً للمبدّل منه .

و اعلم أن المغفرة فى ذلک كالشفاعة، و سيأتى فى فصلى الأعراف و المغفرة و ما يتبين به هذا المعنى (فضل تبين) .

و من هنا يتبين أن الشفاعة نوع تصرف فى الأعمال بتيديلها، و لذلک خصّه سبحانه بنفسه فى قوله:

« **ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى و لا شفيع** » [2] .

و هذا يؤيد ما ذكرناهُ من مقام الشافع، إن الشفاعة لا تتمّ إلا بكمال القرب منه سبحانه، و يظهر ذلک أيضاً من قوله:

« **و لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فُزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق و هو العلىّ الكبير** » [3] .

و التفزيع عن القلب كشف الفزع، و هو الدهشة و الصعقة التى توجب غيبوبته عن نفسه، قوله سبحانه:

« **ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه** » [4] .

إذا ضم إلى الآية الأولى و السياقان واحد، أفادت أنّ تمليكه تعالى الشفاعة لغيره يتحقق بعد الإذن، أى بعد الإذن يتحقق كون فعل الشافع فى شفاعته و قوله فعل الله سبحانه.

و أصرح منه قوله:

« **من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم** » [5] ،

فالإذن هو الموجب لهذا الذى نسميه كمال القرب، و هو الجاعل فعل الشافع فعله سبحانه، و قد مر تفسير الإذن بالرضا.

---

[1]– سورة الفرقان الآية : ٧٠.

[2]– سورة السجدة الآية : ۴.

[3]– سورة سبأ الآية : ٢٣.

[4]– سورة يونس الآية : ٣.

[5]– سورة البقرة الآية : ٢٥٥.

و قد قال سبحانه أيضاً:

« **يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً و لا هم ينصرون * إلا من رحم الله** » [1] ،

فبينّ به أن الذى تسميه شفاعة قائم بالرحمة، فهو رحمته سبحانه كما يستشم أيضاً من قوله سبحانه:

« **و رحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون** » [2] .

ثم إنه سبحانه قال لرسوله:

« **و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** » [3].

و هو كلام مطلق يعطى أنّ له (ص) من الله سبحانه مقاماً غير مقام الشفاعة أرفع منها، و هو مقام الإذن الذى يحصل بعده و بسببه الشفاعة، فهو (ص) شفيع الشفعاء -كما مر- و إنه (ص) شهيد الشهداء.

و اعلم أنّ مساق هذه الآية فى تفضيله (ص) على العالمين غير مساق قوله:

« **و لقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب و الحكم و النبوة و رزقناهم من الطيبات و فضّلناهم على العالمين** » [4] الآية.

فإنّ الظاهر منها أنّ تفضيلهم إنما هو بجمع الآيات الباهرات لهم، و هو كذلک و ليس تفضيلاً فى قرب التقوى من الله تعالى، و يدل على ذلک النقمات و السخطات، و نزول الرجز بهم، و ليس تفضيل أمة على العالمين كتفضيل الواحد على العالمين، و خاصة بالرحمة التى هى الواسطة التامة بين الله سبحانه و بين الموجودات، و هى شىء فى البين و ليس بشىء فى البين، فهو سبحانه يخلق كل شىء بذاته، و يرزق كل شىء بذاته، و يبدأ و يدبر و يعيد كل شىء بذاته، و يفعل ذلک كله برحمته.

و فى هذا المعنى خطابه تعالى له (ص) بقوله:

« **عسى أن يبعثک ربک مقاماً محموداً** » [5] .

---

[1]- سورة الدخان الآيتان :۴۱ و ۴۲.

[2]- سورة الأعراف الآية : ۱۵۶.

[3]- سورة الآنبياء الآية : ۱۰۷.

[4]- سورة الجاثية الآية : ۱۶.

[5]- سورة الإسراء الآية : ۷۹.

و لفظ يبعث كأنه تضمن معنى الإقامة، و هو كلام مطلق لم يعترضه فى كلامه سبحانه تقييد، فهو مقام محمود بكل حمد من كل حامد، فهو مقام فيه كل جمال و كمال لاقتضاء الحمد، ذلک فكل جمال و كمال مترشّح من هناک، و قد قال سبحانه:

« **الحمد لله رب العالمين** » [1] .

فخصَّ كل حمد من كل حامد بنفسه، فالمقام المحمود مقام متوسط بينه سبحانه و بين الحمد، فهو كالرحمة شيء و ليس بشيء، و هى المسمّاة بالولاية الكبرى.

و قال سبحانه:

« **و لسوف يعطيک ربک فترضى** » [2] .

و هذا أيضاً كلام مطلق، و من المعلوم أنّ العطيّة المطلقة منه سبحانه هى الرحمة المطلقة، فيرجع مضمون الآية إلى الآيتين و هما:

« **و ما أرسلناک إلا رحمة للعالمين** »[3]

« **و عسى أن يبعثک ربک مقاماً محموداً** » [4].

و تزيد عليهما بالرضى، و لم يقل سبحانه: حتّى ترضى، فإن العطية هذه غير تدريجيّة بتواتر الأمثال و تعاقب الجزئيات، هاهنا كلام كثير لكنه أرفع سطحاً مما جزينا عليه فى هذه الرسالة.

فالمحصّل من جميع ما مرّ أن محمداً (ص)، على أن له الشفاعة للمذنبين من أمته له مقام الإذن فى الشفاعة، و الأخبار فى ذلک كثيرة متظافرة.

فقد روى القمى فى تفسيره عن الباقر (ع) -فى حديث- ثم قال: « **ما من أحد من الأولين و الآخرين إلا و هو محتاج إلى شفاعة محمد (ص) يوم القيامة** » [5]-الحديث.

و روى هذا اللفظ فى المحاسن عن الصادق (ع)[6] .

---

[1]- سورة الفاتحة الآية : ٢.

[2]- سورة الضحى الآية : ٥.

[3]- سورة الأنبياء الآية : ١٠٧.

[4]- سورة الإسراء الآية : ٧٩.

[5]- تفسير القمى: ٢٠٢/٢.

[6]- المحاسن: ٢٩٣/١، الحديث ١٨٨.

و روى العياشى فى تفسيره عن الصادق (ع) –فى حديث طويل–: ثم قال أبو عبذ الله (ع): « **ما من نبىّ من لدن آدم إلى محمد إلّا وهم تحت لواء محمد (ص)**» [1]. –الحديث.

و روى القمى فى تفسيره عن سماعة عن الصادق (ع)، قال: سألته عن شفاعة النبى (ص): يوم القيامة، قال : « **يلجم الناس يوم القيامة العرق، و يرهقهم الفلق فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا، فيأتون آدم، فيقولون: اشفع لنا عند ربک، فيقول: إنّ لى ذنباً و خطيئة فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيردهم إلى من يليه، و يردهم كل نبىّ إلى من يلى حتى ينتهوا إلى عيسى، فيقول عليكم بمحمد (ص)، فيعرضون أنفسهم عليه و يسألونه فيقول: انطلقوا، فينطلق بهم إلى باب الجنة و يستقبل باب الرحمن، و يخرّ ساجداً فيمكث ما شاء الله، فيقول الله عزّوجلّ: ارفع رأسک و اشفع تشفّع، و سل تعط، و ذلک قوله: « عسى أن يبعثک ربک مقاماً محموداً»** [2].

و روى العياشى فى تفسيره ما يقرب منه[3]، و هذا المعنى وارد فى إنجيل برنابا بنحو أبسط فيما بشّر به المسيح عيسى بن مريم (ع) بمحمد (ص).

و روى فرات بن إبراهيم فى تفسيره عن بشر بن شريح، قال: قلت لمحمد بن علىّ (ع): أيّة آية فى كتاب الله أرجى؟ قال (ع) : « **ما يقول فيها قومک؟** »، قلت: يقولون:

« **يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسكم لا تقنطوا من رحمة الله** » [4].

قال (ع) : « **لكنا أهل بيت لا نقول ذلک** »، قال: قلت: فأىّ شىء تقولون فيها: قال: « **و لسوف يعطيک ربک فترضى** »، **و الله الشفاعة و الله الشفاعة** » [5].

---

[1]– تفسير العياشى: ۳۳۴/۲، الحديث ۱۴۵.

[2]– تفسير القمى: ۱۷۰/۲.

[3]– تفسير العياشى: ۳۳۳/۲، الحديث ۱۴۵.

[4]– سورة الزمر الآية : ۵۳.

[5]– تفسير فرات الكوفى: ۵۷۰.

القول فی أقسام الشافعین

منهم الأنبیاء و الأولیاء من البشر

و قد سبق الکلام فیه

و منهم الملائکة

قال سبحانه:

« **و کم من ملک فی السموات لا تغنی شفاعتهم شیئاً إلا من بعد أن یأذن الله لمن یشاء و یرضی** » [1] ، إلی غیر ذلک من الآیات.

و منهم المؤمنون، قال سبحانه:

« **و ما أضلنا إلا المجرمون * فما لنا من شافعین * و لا صدیق حمیم * فلو أنّ لنا کرّة فنکون من المؤمنین** » [2] .

فقد استشعروا أن هناک صدیقاً حمیماً ینفع البعض لمکان قولهم: « لنا » الآیة. و یظهر منه أنّ الشافع و الحمیم إنما ینفع المؤمنین.

و فی الکافی عن الباقر (ع) : « **إن الشفاعة لمقبولة، و ما تقبل فی الناصب، و إن المؤمن لیشفع جاره و ماله حسنة فیقول: یا رب، جاری کان یکفّ عنی الأذی فیشفع فیه، فیقول الله تبارک و تعالی:انا ربک و أنا أحقّ من کافی عنک،**

فیدخله الله الجنة و ما له من حسنة، و أنّ ادنی المؤمنین شفاعة لیشفع لثلاثین إنساناً، فعند ذلک یقول أهل النار : « فما لنا من شافعین * و لا صدیق حمیم » » [3].

---

[1]- سورة النجم الآیة : ۲۶.

[2]- سورة الشعراء الآیات : ۹۹ – ۱۰۲.

[3]- الکافی: ۸۸/۸، الحدیث ۷۲.

و الروايات فى هذا المعنى كثيرة.

و من الشفعاء: القرآن و الأمانة، و الرحم عدّت من الشفعاء فى الروايات، ففى فردوس الديلمى عن أبى هريرة عن النبى (ص)، قال: « **الشفعاء خمسة : القرآن، و الأمانة، و الرحم، و نبيّكم، و أهل بيت نبيكم** » [1].

أقول: و لعل شفاعة الثلاثة الأول يستفاد من قوله سبحانه فى وصف كتابه:

« **و هدىً و رحمةً و بشرى للمسلمين** » [2].

و قد قال سبحانه:

« **يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً و لا هم ينصرون إلا من رحم الله** » [3].

و قوله سبحانه:

« **إنا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً * ليعذب الله المنافقين و المنافقات و المشركين و المشركات و يتوب الله على المؤمنين و المؤمنات و كان الله غفوراً رحيماً** » [4].

فبين سبحانه أنّ غاية عرض الأمانة على الإنسان و تحمّله لها هو التوبة على المؤمنين، و العذاب على المنافقين و المشركين بسببها، و هى الشفاعة، و قد فسّرنا الآية سابقاً بالولاية، و لا تنافى؛ و ذلک لأنّ المأخوذ فى كلامه سبحانه الأمانة دون الولاية، فهو أخذ الخاص من العام، و انطباقه به.

و قوله سبحانه:

« إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * و لا يحضّ على طعام المسكين * فليس له اليوم هاهنا حميم » [5].

و الحميم هو القريب ذو الرحم، و الدليل على شفاعته قوله تعالى: « له » الآية.

و فى الكافى: عن سعد الخفّاف، عن الباقر (ع) أنه قال: « **يا سعد تعلموا القرآن، فإن القرآن يأتى يوم القيامة فى أحسن صورة نظر إليه الخلق** »، ثم ذكر (ع): « **أنه يأتى صفّ المسلمين، ثم صفّ الشهداء، ثم الانبياء، ثم الملائكة، و كل يحسب أنه منهم، ثم يشفع فيشفّع، و يسأل فيعطى** »، و فى آخره قال سعد: قلت: جعلت

---

[1]- مناقب آل أبى طالب/ ابن شهر آشوب: ۱۴/۲، فصل فى أنه الساقى و الشفيع. بحار الأنوار: ۴۳/۸، الباب ۲۱ الشفعة، الحديث ۳۹. الجامع الصغير/السيوطى: ۸۶/۲، الحديث ۴۹۴۲.

[2]- سورة النحل الآية : ۸۹.

[3]- سورة الدخان الآيتان : ۴۱ و ۴۲.

[4]- سورة الأحزاب الآيتان : ۷۲ و ۷۳.

[5]- سورة الحاقة الآيات : ۳۳-۳۵.

فداک یا أبا جعفر، و هل یتکلّم القرآن؟ فتبسم (ع) ثم قال: « **رحم الله الضعفاء من شیعتنا، انهم أهل تسلیم** »، ثم قال: « **نعم یا سعد، و الصلاة تتکلم، و لها صورة و خلق، تأمر و تنهی** »، قال سعد: فتغیّر لذلک لونی، و قلت: هذا شیء لا أستطیع التکلم به فی الناس، فقال أبو جعفر (ع): « **و هل الناس إلا شیعتنا، فمن لم یعرف بالصلاة فقد أنکر حقنا** »، ثم قال : « **یا سعد، أُسمعک کلام القرآن؟** »، قال سعد: فقلت: بلی صلی الله علیک، فقال: « **إن الصلاة تنهی عن الفحشاء و المنکر و لذکر الله أکبر** »[1]، **فالنهی کلامُ الفحشاء، و المنکر رجال، و نحن ذکر الله، و نحن أکبر** »[2] –الحدیث.

و هو مشتمل علی معانٍ جمّة یستفاد بها أُخری، و الذی یرتبط بما نحن فیه، أن المعانی التی تشترک فی اللفظ مع المعانی و الأحوال الموجودة فی الأحیاء کالأمر، و النهی، و النفع، و الشفاعة، و غیرها، ستتمثّل فی البرزخ بصورها، و یتحقّق فی الحشر بحقیقتها، و لمزید البیان موضع آخر علی أنها مستفادة من البرهان المذکور سابقاً، و هاهنا روایات أُخر متفرقة فی أبواب المعارف و العبادات.

و من الشفعاء: الأعمال الصالحة، قال سبحانه:

« **إلا من تاب و آمن و عمل عملاً صالحاً فأولئک یبدّل الله سیئاتهم حسنات** » [3].

فقد مرّ أن معنی الشفاعة تبدیل سیئة المذنب بالحسنة، لقرب بین الشافع و المشفوع له، و الروایة السابقة فی شفاعة القرآن تعطی معنی کلیاً فی شفاعة الأعمال.

---

[1]– سورة العنکبوت الآیة : ۴۵.

[2]– الکافی: ۵۹۱/۲، کتاب فضل القرآن، الحدیث ۱.

[3]– سورة الفرقان الآیة : ۷۰.

الفصل الثالث عشر

فی الأعراف

قال سبحانه:

« **و بینهما حجاب و علی الأعراف رجال یعرفون کلّاً بسیماهم** » [1] .

أعراف الحجاب: أعالیه، و الأعراف: التلال المرتفعة من کثبان الرمل، و اتّصال الأعراف فی الآیة الشریفة بالحجاب، یؤید المعنی الأول و کون الرجال علیها یؤید المعنی الثانی. لکن لا مغایرة، فالحجاب ما یحجب شیئاً عن شیء، فهؤلاء الرجال فی مقام عال مرتفع مطلّ علی الفریقین: أهل الجنة و أهل النار، مشرف علی المقامین: الجنة و النار، و لذلک کانوا علی الأعراف لیعرفوا کلّاً بسیماهم، و قد وصف سبحانه الأمر بلسان آخر فی قوله:

« **یوم یقول المنافقین و المنافقات للذین آمنوا انظرونا نقتبس من نورکم قیل ارجعوا وراءکم فالتمسوا نوراً فضُرب بینهم بسور له باب باطنه فیه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب** » [2] .

فقوله:

« **انظرونا نقتبس من نورکم** » .

---

[1]- سورة الأعراف الآیة : ۴۶.

[2]- سورة الحدید الآیة : ۱۳.

كقوله فى ذيل آية الأعراف:

« و نادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرّمهما على الكافرين » [1] .

و إختصاص المنافقين بالباب لمكان نفاقهم و اشتراكهم مع المؤمنين فى ظاهر أمرهم، فيعذّبون من ظاهر الحجاب من قبل الباب.

و بالجملة فقد بين سبحانه أن هذا الحجاب و السور شيء واحد ذو ظاهر و باطن، و أن الرحمة للفائزين فى باطنه، و أن العذاب للهالكين فى ظاهره، فكأنهم لو جازت أنظارهم ظاهره أصابوا النعيم و غشيتهم الرحمة، و كأنّ المؤمنين و الكافرين ليس قبلهم إلا شيء واحد، و انما الاختلاف من ناحية إداراكهم كحالهم فى الدنيا، و هو السبيل إلى الله سلكه المؤمنون فى الدنيا صراطاً مستقيماً، و إنحرف فيه غيرهم، و لذلک قال سبحانه – قبل آية الأعراف–:

« و نادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربُنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين * الذين يصدون عن سبيل الله و يبغونها عوجاً و هم بالأخرة كافرون » [2] .

فالسبيل واحد و هو الله و إلى الله، سلكه سالک بالإستقامة و آخر قصده عوجاً و منحرفاً، و هذا المعنى مكرّر الورود تصريحاً و تلويحاً فى القرآن.

قال سبحانه:

« يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون * أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات و الأرض و ما بينهما إلا بالحق و أجل مسمى و إن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون » [3] .

و قال:

« و الذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظّمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجد شيئاً و وجد الله عنده فوفّاه حسابه » [4] .

---

[1]– سورة الأعراف الآية : ۵۰.

[2]– سورة الأعراف الآيتان : ۴۴ و ۴۵.

[3]– سورة الروم الايتان : ۷ و ۸.

[4]– سورة النور الآية : ۳۹.

قال:

«فأعرض عن من تولى عن ذكرنا و لم يرد إلّا الحياة الدنيا * ذلک مبلغهم من العمل إن ربک هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بمن اهتدى » [1] .

و قال سبحانه:

« إن الذين لا يرجون لقاءنا و رضوا بالحياة الدنيا و اطمأنوا بها و الذين هم عن آياتنا غافلون * أولئک مأواهم النار بما كانوا يكسبون » [2] .

و الآيات فى هذا المعنى كثيرة جداً يمنعنا عن الإستقصاء فيها و بيانها ما شرطنا على أنفسنا فى صدر الرسالة من الإختصار.

و من أبلغها فى هذا الباب قوله سبحانه:

« ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً » [3] .

و قد مرّ أنّ النعمة فى هذه الآية هى الولاية، و هى السبيل إلى الله و يقابله الكفر:

« و أحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها و بئس القرار » [4] ،

فغاية هؤلاء البوار لجمودهم على الظاهر و إعراضهم عن الباطن، و الظاهر بائر و الباطن ثابت قاطن كما يشير إليه قوله سبحانه:

« و بشّر الذين آمنوا أنّ لهم قدم صدق عند ربهم » [5] .

و قوله:

« فى مقعد صدق عند مليک مقتدر » [6] .

و قوله:

« لا يسمعون فيها لغواً و لا تأثيماً » [1] .

---

[1]- سورة النجم الآيتان : ٢٩ و ٣٠.

[2]- سورة يونس الآيتان : ٧ و ٨.

[3]- سورة إبراهيم الآية : ٢٨.

[4]- سورة إبراهيم الآية : ٢٨ و ٢٩.

[5]- سورة يونس الآية : ٢.

[6]- سورة القمر الآية : ٥٥.

و قوله:

« **لا يسمعون فيها لغواً و لا كذّاباً** » [٢] ،

فغاية المؤمنين هو محل الصدق و الحق ليس فيه لغو و لا كذب بخلاف غيرهم.

و كيف كان، فأصحاب الأعراف هم المهيمنون على المكانين، المشرفون على الفريقين، و ليست هذه الكثبان كثبان رمل من مادة أرضنا، فقد قال سبحانه فى وصف الأرض:

« **لا ترى فيها عوجاً و لا أمتا** » [٣]،

بل إنما هو مقامهم المرتفع عن ساحة أهل الجمع فهم غير محضرين، فهم المخلصون الذين حفظهم الله سبحانه من صعقة النفخ، و فزع اليوم و مقامهم الحجاب و فيه الرحمة التى وسعت كل شىء، و النار التى أحاط بأهلها سرادقها و هو المستشعر بقوله تعالى:

« **فأذّن مؤذّن بينهم أن لعنة الله على الظالمين** » [٤].

و لم يقل سبحانه: « فأذن بينهم مؤذن » -كما لا يخفى- و هم الحاكمون القيامة.

قال سبحانه:

« **و نادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم و ما كنتم تستكبرون * أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته** » [٥] .

و هى الجنة -كما مر- و كما يدل عليه قوله:

« **ادخلوا الجنة لا خوف عليكم و لا أنتم تحزنون** » [٦] ،

و هم أصحاب الروح المأذون لهم فى الكلام و القول الصواب، فى قوله سبحانه:

« **يوم يقوم الروح و الملائكة صفّاً لا يتكلمون إلّا من أذن له الرحمن و قال صواباً** » [٧] .

و قد فصّلنا القول فى معنى الروح و إيمانه و علمه فى رسالة الإنسان قبل الدنيا فى قوله سبحانه:

---

[١]- سورة الواقعة الآية : ٢٥.

[٢]- سورة النبأ الآية : ٣٥.

[٣]- سورة طه الآية : ١٠٧.

[٤]- سورة الأعراف الآية ۴۴.

[٥]- سورة الأعراف الآيتان : ۴۸ و ۴۹.

[٦]- سورة الأعراف الآية : ۴۹.

[٧]- سورة النبأ الآية : ٣٨.

« و كذلک أوحينا إليک روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب و لا الإيمان » [1] ،

فهم –أعنى أصحاب الأعراف– هم المعنيّون ظاهراً بقوله سبحانه:

« و تراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل يُنظرون من طرف خفىّ و قال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة » [2]،

فقد قضوا بخسرانهم.

و هم أيضاً المعنيّون بقوله تعالى:

« و يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كانوا يؤفكون * و قال الذين أوتوا العلم و الإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون » [3] .

فزعمهم ذلک لما قيدوا فى الدنيا فلم يتّسع أنظارهم بأزيد من أن يدركوا ساعة من دهرهم واقعون فيها ففاتهم ما كانوا عليه قبل النزول فى الدنيا، و ما سيكونون عليه بعد الإرتحال من الدنيا، و وقعوا فيها بحسب سيطرة الزمان لا تزال ساعة تبطن وساعة تظهر، فهم يقسمون حين البعث ما لبثوا غير ساعة، و هذا الوهم الشبيه بالحقيقة قد قرّره سبحانه بقوله:

« كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ » [4] .

و قوله:

« قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين * قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فسأل العادين * قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون » [5] .

و لذلک فليس قولهم و قسمهم على ما يقولون و يدعون تقليلاً منهم لمدة مكثهم فى الأرض بالنسبة إلى البقاء الأبدى الذى شاهدوه حين البعث، و لذلک أردف ذلک بقوله :

« كذلک كانوا يؤفكون » [6].

و قوله: أولى العلم و الإيمان:

---

[1]– سورة الشورى الآية : ۵۲.

[2]– سورة الشورى الآية : ۴۵.

[3]– سورة الروم الآيتان : ۵۵ و ۵۶.

[4]– سورة الأحقاف الآية : ۳۵.

[5]– سورة المؤمنون الآيات : ۱۱۲–۱۱۴.

[6]– سورة الروم الآية : ۵۵.

« **لقد لبثتم فی کتاب الله إلی یوم البعث** »،

کأنه إشارة إلی قوله:

« **و لو لا کلمة سبقت من ربک إلی أجل مسمی لقضی بینهم** »[1] .

و قد مر معنی الآیة فی الکلام فی الأجل و الموت، و إذ کان اللبث و انتهاؤه مفروغاً منه أردفوه بقولهم: « **فهذا یوم البعث** »، و هو النتیجة، و قالوا: ولکنکم کنتم لا تعلمون بهذا الانتهاء و التحدید، و أن السلعة کلمح البصر أو هو أقرب، و انّ جهنم لمحیطة بالکافرین.

و اعلم أن صدور هذه الدعوی الباطلة من المبعوثین، ثم ظهور بطلانها لهم و أمثال ذلک، کالمخاصمات التی تقع بین الضعفاء و المتکبرین و الأتباع و المتبوعین یوم القیامة علی ما حکاه سبحانه عنهم، لا ینافی ما مر من أن الیوم یوم تظهر فیه الحقائق و ترتفع فیه الحجب، فإن الظهور بنفسه یتحقق عن خفاء و ینحل إلی مراتب، غیر أنّ الأمر طویل عسیر عند البعض، و قلیل نزر یسیر عند آخرین.

و الأخبار الواردة فی الباب تؤیّد ما مر من المعانی، فقد روی العیاشی عن سلمان، قال: سمعت رسول الله (ص) یقول لعلیّ (ع) أکثر من عشر مرّات: « **یا علیّ، إنک و الأصیاء من بعدک أعراف بین الجنة و النار لا یدخل الجنة إلّا من عرفکم و عرفتموه و لا یدخل النار إلّا من أنکرکم و أنکرتموه** »[2].

و روی القمی فی تفسیره عن الصادق (ع): «کلُّ أمة یحاسبها إمام زمانها و یعرف الأئمة أولیاءهم و أعداءهم بسیماهم [3] و هو قوله:

« **و علی الأعراف رجال یُعرفون کلّا بسیماهم** »،

فیعطوا أولیاءهم کتابهم بیمینهم فیمروا إلی الحنة بلا حساب، و یعطوا أعداءهم کتابهم بشمالهم فیمرّوا إلی النار بلا حساب »[4].

و روی فی الکافی [5] عن أمیر المؤمنین (ع) فی قوله تعالی:

---

[1]– سورة الشوری الآیة ۱۴.

[2]– تفسیر العیاشی: ۲۲/۲، الحدیث ۴۴.

[3]– و کأنهم المراد فاعلاً للفعل المجهول فی قوله سبحانه: « **یُعرف المجرمون بسیماهم فیُؤخذ بالنواصی و الاقدام** » سورة الرحمن الآیة: ۴۱. فهو سبحانه لا یخفی له منهم شیء و المجرمون فی شغل عن المعرفة. (منه ره) .

[4]– تفسیر القمی: ۴۰۴/۲.

[5]–الکافی: ۲۳۹/۱، الباب ۶۴، الحدیث ۹.

« **و على الأعراف رجال** » الآية.

و من المحتمل أن يرجع (ع) الضمير فى سيماهم إلى قوله: « **رجال** » و « **كلّا** » جميعاً.

و روى القمى عن الباقر (ع) أنه سئل عن أصحاب الأعراف، فقال: « **إنهم قوم استوت حسناتهم و سيئاتهم فقصرت بهم الأعمال، و انهم لكما قال الله عزّوجلّ** » [1].

أقول: يشير (ع) إلى قوله:

« **و نادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم** » [2] الآية.

و فى الجوامع عن الصادق (ع): « **الأعراف: كثبان بين الجنة و النار يوقف عليها كل نبىّ و كل خليفة مع المذنبين من أهل زمانه، كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده، و قد سبق المحسنون إلى الجنة، فيقول ذلک الخليفة للمذنبين الواقفين معه: انظروا إلى اخوانكم المحسنين قد سبقوا إلى الجنة فيسلم عليهم المذنبون؛ و ذلک قوله تعالى:**

« **سلام عليكم** »

لم يدخلوها و هم يطمعون أن يدخلهم الله إياها بشفاعة النبىّ و الإمام، و ينظر هؤلاء إلى النار فيقولون: « ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين »[3]**، و ينادى أصحاب الأعراف و هم الأنبياء و الخلفاء رجالاً من أهل النار و رؤساء الكفار يقولون لهم مقرّعين؛ ما أغنى عنكم جمعكم و استكباركم هؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة، إشارة لهم إلى أهل الجنة الذين كان الرؤساء يستضعفونهم و يحتقرونهم بفقرهم، و يستطيلون عليهم بدنياهم، و يقسمون أن الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة، يقول أصحاب الأعراف لهؤلاء المستضعفين عن أمر من أمر الله عزّوجلّ لهم بذلک: « ادخلوا الجنة لا خوف عليكم و لا أنتم تحزنون »**[4]**، أى لا خائفين و لا محزونين »**[5].

أقول: و خصوصيات هذا الحديث مستفادة من خصوصيات آيات الأعراف، و الأخبار فى هذه المعانى كثيرة مروية فى تفسيرى: القمى، و العياشى، و فى الكافى و البصائر و المجمع و الإحتجاج.

---

[1]- و قد ورد فى الكافى: ۲/ ۳۸۸، الباب ۳۶۰ أصحاب الأعراف، الحديث ۱.

[2]- سورة الأعراف الآية : ۴۶.

[3]- سورة الأعراف الآية : ۴۷.

[4]- سورة الأعراف الآية : ۴۹.

[5]- وقد ورد فى بحار الأنوار: ۳۳۲/۸۰، الباب ۲۵، مع اختلاف يسير.

و البرهان المذكور سابقاً ربما استفاد منه هذا الموقف، و هو وصل قوم إلى مقام ينشعب منه مقام الفريقين و لحوق الضعفاء و المتوسطين بهم، و به يظهر أنّ الأعراف ليس موقفاً ذا مرتبة واحدة بل ذو مراتب، و لذلک لا نرى تصريحاً منه سبحانه أن المستضعفين على الأعراف كالرجال الذين يحكمون فيها، و إنما المفهوم أنهم عندهم يشيرون إليهم و يخاطبونهم و يأمرونهم و يؤمنونهم.

الفصل الرابع عشر

فی الجنة

بسط الكلام فيها و شرح ما تضمّنته الآيات و الأخبار على كثرتها فيها أوسع من مجال هذه الرسالة، فقد وردت فی كتاب الله تعالى فی وصف الجنة ما يقرب من ثلاثمئة آية، و ذكرُها مطَّرد فی جميع سور القرآن إلّا عشرين سورة هی؛ سورتا الممتحنة و المنافقين، و ثمانی عشرة سورة من السور القصار، لكنا نتعرض لكليات أوصافها على حسب المقدور.

فاعلم أن المستفاد من كلامه سبحانه أن هناک ارتباطاً مخصوصاً بين الأرض و بين الجنة، قال سبحانه:

« **و قالوا الحمد لله الذی صدقنا وعده و أورثنا الأرض نتبوّأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين** » [1] .

و لعل قولهم:

« **صدقنا وعده** »

الآيةإشارة إلى قوله سبحانه:

« **أن الأرض يرثها عبادی الصالحون** » [2] .

و الوارثة هی أن تملک شيئاً بعد ما ملكه آخر قبلک، و تخول منه ما خوّله سلفک، فالميراث يحتاج إلى شیء ثابت اعتورته يد بعدَ يد، و قام به خلف بعد سلف، و كان مقتضى ظاهر السياق فی بيان صدق الموعد أن يقال: « وأورثنا الأرض نتبوّأ منها»، أو يقال « وأرثنا الجنة نتبوّأ منها »، فالعدول عن ذلک إلى ما ترى يعطی ارتباطاً ما، و اتّحاداً مخصوصاً بين الأرض و الجنة كما ترى .

و قد أخبر سبحانه بتبديل الأرض يوم القيامة تارة، فقال :

« **يوم تُبدّل الأرض غير الأرض** » [3] .

و بإشراقها بنور ربها تارة، فقال:

« **و أشرقت الأرض بنور بها** » [4] .

---

[1]– سورة الزمر الآية : ۷۴.

[2]– سورة الأنبياء الآية : ۱۰۵.

[3]– سورة إبراهيم الآية : ۴۸.

[4]– سورة الزمر الآية : ۶۹.

و بقبضها تارة، فقال:

« **و الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة** » [1] .

و يشير إلى ما مر بقوله:

« **و سيعلم الكفار لمن عقبى الدار** » [2] .

و أصرح منه قوله سبحانه:

« **والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم و أقاموا الصلاة و أنفقوا مما رزقناهم سراً و علانية و يدرءون بالحسنة السيئة لهم عقبى الدار * جنات عدن يدخلونها و من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرّيّاتهم و الملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** » [3] .

فقد فُسر و وُصف، عقبى الدار، بجنات عدن يدخلونها، و الدخول يستدعى خروجاً ما سابقاً، فمثلهم كمثل الذى يسكن أرضاً ثم يعمر فيها داراً يسكنها، ثم يزيّن قبّة من قبابها فيدخلها، فإنما هو أوج بعد حضيض أو إرتقاء بعد إرتقاء، قال سبحانه:

« **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رزقنا من قبل و أتوا به متشابهاً** » [4] .

و هناك آيات أخر تشعر بذلك، كقوله سبحانه:

« **إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين** » [5] .

و قوله:

« **تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً** » [6] .

و قوله:

« **تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون** » [7] .

---

[1]- سورة الزمر الآية : ۶۷.

[2]- سورة الرعد الاية : ۴۲.

[3]- سورة الرعد الآيات : ۲۲-۲۴.

[4]- سورة البقرة الآية : ۲۵.

[5]- سورة الأعراف الآية : ۱۲۸.

[6]- سورة مريم الآية : ۶۳.

[7]- سورة الأعراف الآية : ۴۳.

و فی المجمع عن النبیّ (ص): « **ما من أحد إلا و له منزل فی الجنة و منزل فی النار، فأما الکافر فیرث المؤمن منزله من النار، و المؤمن یرث الکافر منزله من الجنة، فذلک قوله:**

« **أورثتموها بما کنتم تعملون** » [1]».

أقول: و الروایة –لو صحّت– لم تناف ما ذکرناه من وراثة الأرض، و کذلک سیاق قوله سبحانه:

« **قال موسی لقومه استعینوا بالله و اصبروا إن الأرض لله یورثها من یشاء من عباده و العاقبة للمتقین** » [2]،

و هو ظاهر هذا، و البرهان السابق تستفاد منه هذه الوراثة.

ثم اعلم أنه سبحانه کرّر الوعد بتطهیر الجنة و أهلها، و تطییبها من الکدورات و الظلمات، قال تعالی:

« **سلام علیکم طبتم فادخلوها خالدین** » [3]،

فالتفریع بالفاء: یعطی طیب المنزل کطیب النازل.

و قال سبحانه:

« **سلام علیکم بما صبرتم فنعم عقبی الدار** » [4]،

و التفریع فیها یعطی طیب المنزل، و هو الأرض، بطیب النازل بالصبر، و الفرق من جهة أنّ السلام الأول شکر، و الثانی فی مقام البشری.

و قال سبحانه:

« **و مساکن طیبة فی جنات عدن** » [5].

و قال:

«**و نزعنا ما فی صدورهم من غِلّ إخواناً علی سرر متقابلین * لا یمسّهم فیها نصب و ما هم منها بمخرجین** »[6].

و قال:

« **لا یمسنا فیها نصب و لا یمسنا فیها لغوب** » [1]،

---

[1]– تفسیر مجمع البیان: ۶۴۹/۴.

[2]– سورة الأعراف الآیة :۱۲۸.

[3]– سورة الزمر الآیة : ۷۳.

[4]– سورة الرعد الآیة : ۲۴.

[5]– سورة التوبة الآیة : ۷۲.

[6]– سورة الحجر الآیتان : ۴۷ و ۴۸.

إلى غير ذلک من الآيات، و أجمعها معنى قوله سبحانه:

« **ادخلوا الجنة لا خوف عليكم و لا أنتم تحزنون** » [۲] .

فالخوف إنما يكون من المكروه المحتمل، و الحزن على مكروه واقع، فقد نفى سبحانه كل نقيصة، و عدم واقع فى الموجود، و محتمل، فأصحاب الجنة مبرؤون عن النواقص و الاعدام، و كاملون فى وجوداتهم، فلا مزاحمة من مزاحمات الدنيا هناک أصلاً، فهى المرفوعة عنهم، فهم المفلحون المغشيّون بالأمن و السلام، قال سبحانه:

« **ادخلوها بسلام آمنين** » [۳].

و قال:

« **لا يسمعون فيها لغواً و لا تأثيماً * إلا قيلا سلاماً سلاماً** » [۴] .

ثم اعلم أنه سبحانه وعدهم فيها كل لذة و بهجة و جمال و كمال.

قال تعالى:

« **لهم ما يشاؤون عند ربهم** » [۵]

قال سبحانه:

« **نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا و فى الآخرة و لكم فيها ما تشتهى أنفسكم و لكم فيها ما تدعون * نزلا من غفور رحيم** » [۶] .

و أكثر الآيات واردة فى وصف خصوصيات من قصورها، و حورها، و طيورها، و أشجارها، و أثمارها، و أنهارها، و فواكهها، و ظلّها، و شرابها، و غلمانها، و خلودها، و ينبغى لک أن تفهم منها معانيها مطلقة غير مشوبة بالنواقص و الاعدام.

ثم اعلم أنه سبحانه وَعَدهم أمراً وراء ذلک، فقال:

« **فلا تعلم نفس ما أُخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** » [۱] .

---

[۱]– سورة فاطر الآية : ۳۵.

[۲]– سورة الأعراف الآية : ۴۹.

[۳]– سورة الحجر الآية : ۴۶.

[۴]– سورة الواقعة الآيتان : ۲۵ و ۲۶.

[۵]– سورة الزمر الآية :۳۴.

[۶]– سورة فصلت الآيتان : ۳۱ و ۳۲.

و هذا الوعد بعد ما وصف سبحانه عطاءه بكل صفة جميلة بليغة، يعطى أنه أمر وراء ما يسعه إفهام النفوس.

و قد روى القمى فى تفسيره عن عاصم بن صمد، عن الصادق (ع) فى حديث يصف فيه الجنة، قال: قلت: جعلت فداک، زدنى، . فقال: « **ان الله خلق جنة بيده، و لم ترها عين، و لم يطلع عليها مخلوق، يفتحها الرب كل صباح فيقول ازدادى ريحاً ازدادى طيباً، و هو قول الله:**

« **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** » »[٢].

أقول: و قوله:

« **جزاء بما** »الآية

يعطى أنّ هذا الذى فوق فهم الأفهام أُخفيت للإنسان بازاء العمل جزاء له، و قد قال سبحانه:

« **لهم ما يشاؤون فيها** »[٣]،

فكل ما تتعلق به المشيئة مملوک للإنسان هناک.

و قال أيضاً:

« **و أن ليس للإنسان إلا ما سعى * و أنّ سعيه سوف يُرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى** »[٤].

فكل ما يحبه الإنسان هناک أعم مما يسعه الفهم، و ما لا يسعه مملوک له لمكان قوله:

« **لهم** »الآية،

و واقع تحت المشيئة المطلقة لقوله:

« **ما يشاؤون** » الآية.

لكن الآية تفيد أنَّ للإنسان كمالاً فوق مرتبة الفهم، يمكن أن يملكه بالعمل و هو ظاهر، و لعل ذلک ما يفيده قوله سبحانه:

« **وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة** »[٥]،

و هو المشاهدة بالقلوب فى عير جهة و لا جسم و لا تشبيه، لقوله تعالى:

---

[١]- سورة السجدة الآية : ١٧.

[٢]- تفسير القمى: ٢/١٧٠.

[٣]- سورة ق الآية : ٣٥.

[٤]- سورة النجم الآيات : ٣٩-٤٠.

[٥]- سورة القيامة الآيتان : ٢٢ و ٢٣.

« **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً و لا يشرک بعبادة ربه أحداً** » [1] ،

حيث رتّب اللقاء على العلم النافع و العمل الصالح، ثم إنه سبحانه قال:

« **لهم ما يشاؤون فيها و لدينا مزيد** » [2] ،

فإثباته المزيد لديه بعد ما أخبر أن لهم كل ما يتعلق به مشيئتهم يعطى أنه أمر لا يقع تحت مطلق المشيئة، و لا شک أنه كمال، و أن كل كمال يقع تحت المشيئة، فليس إلا أنه كمال غير محدود، فلا يقع تحت المشيئة،؛إذ كل ما يقع تحتها يصير محدوداً.

و فى تفسير القمى فى قوله : « **و لدينا مزيد** » ، قال (ع) : « **ينظرون إلى رحمة الله** » [3].

أقول: و لعل الرواية مستفادة من قوله تعالى:

« **ليجزيهم الله أحسن ما عملوا و يزيدهم من فضله و الله يرزق من يشاء بغير حساب** » [4] .

فبيّن أن المزيد الذى هو رزق بغير حساب من الفضل، و قد قال:

« **و لو لا فضل الله عليكم و رحمته ما زكى منكم من أحد أبداً** » [5] ،

فالفضل من الرحمة، و هى الرحمة من غير استحقاق.

و قال سبحانه:

« **و رحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون** » [6] .

فهذا المكتوب لهم الذى لا يسعه شىء هو المزيد، و لئن تدبّرت فى قوله سبحانه:

« **فضُرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة** » [7] .

و قوله:

« **أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم برحمته ادخلوا الجنة** » [8] الآية.

---

[1]– سورة الكهف الآية : ۱۱۰.

[2]– سورة ق الآية : ۳۵.

[3]– تفسير القمى: ۳۳۴/۲.

[4]– سورة النور الآية : ۳۸.

[5]– سورة النور الآية : ۲۱.

[6]– سورة الأعراف الآية : ۱۵۶.

[7]– سورة الحديد الآية : ۱۳.

[8]– سورة الأعراف الآية : ۴۹.

و قوله:

« **إن رحمة الله قريب من المحسنين** » [1] .

و قوله:

« **و أزلفت الجنة للمتقين غير بعيد** » [2].

قضيت أن الرحمة هى الجنة بوجه، بل إن الجنة من مراتبها.

الفصل الخامس عشر

فى النار

أعاذنا الله سبحانه منها، و الآيات الواردة فى تفاصيل العذاب و الأخبار بها أكثر عدداً من آيات الجنة، فهى تقرب من أربعمائة آية، و ما خلت عن ذكرها تصريحاً أو تلويحاً إلا اثنتا عشرة سورة من السور القصار، و كيف كان فجملة حالهم أنهم محرومون من الحياة الحقيقية الاخروية، قال سبحانه:

« **قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور** » [3] .

و قال:

« **إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** » [4] .

و قال:

« **و من يقنط من رحمة ربه إلا الضالون** » [5] .

و قد قال سبحانه فى وصف الآخرة:

« **و إن الدار الآخرة لهى الحيوان** » [6] ،

---

[1]- سورة الأعراف الآية : ۵۶.

[2]- سورة ق الآية : ۳۱.

[3]- سورة الممتحنة الآية : ۱۳.

[4]- سورة يوسف الآية : ۸۷.

[5]- سورة الحجر الآية : ۵۶.

[6]- سورة العنكبوت الآية : ۶۴.

و هی الرحمة الإلهیّة التی هی منبع کل کمال و جمال، کما قال :

« **و رحمتی وسعت کل شیء فسأکتبها للذین یتقون** » [1] .

و هی تفید أنهم فی عین حرمانهم منها مشمولون لها، و قد قال:

« **و بینهما حجاب** » [2].

و قال:

« فضرب بینهم بسور له باب باطنه فیه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب » [3] .

و یتحصل منه أنهم فی عین مشمولیتهم للرحمة محرومون عنها لکونها فی باطن حجاب هم لا یجاوزون ظاهرة، و قد مرّ بیانه فی فصل الأعراف، فالحجاب هو الذی یمنعهم من النعیم، و ظاهره هو الذی یعذبون به، و قد بین سبحانه أنهم إنما یعذون بأعمالهم السیئة بأقسامها، فاعمالهم هی أنواع عذابهم، و الأصل الذی تنشعب منه هذه الأنواع هو أصل الحجاب لهم، و هو الغفلة، قال تعالی:

« **و لقد ذرأنا لجهنم کثیراً من الجن و الإنس لهم قلوب لا یفقهون بها و لهم أعین لا یُبصرون بها و لهم آذان لا یسمعون بها أولئک کالأنعام بل هم أضل أولئک هم الغافلون** » [4] .

و قال سبحانه:

« **کلا بل ران علی قلوبهم ما کانوا یکسبون * کلا إنهم عن ربهم یومئذ لمحجوبون** » [5] ،

فهم متوقفون فی حجاب أعمالهم، و قد قال سبحانه:

« **و قدمنا إلی ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً** » [6] .

و قال:

« **أعمالهم کسراب بقیعة یحسبه الظمآن ماء حتی إذا جاءه لم یجده شیئاً و وجد الله عنده فوفّاه حسابه** » [7] .

و قال:

---

[1]– سورة الأعراف الآیة : ۱۵۶.

[2]– سورة الأعراف الآیة : ۴۶.

[3]– سورة الحدید الآیة : ۱۳.

[4]– سورة الأعراف الآیة : ۱۷۹.

[5]– سورة المطففین الآیتان : ۱۴ و ۱۵.

[6]– سورة الفرقان الآیة : ۲۳.

[7]– سورة النور الآیة : ۳۹.

« **ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً و أحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها و بئس القرار** » [1] .

و قال:

« **و مكر أولئک هو يبور** » [2] ،

فمقامهم سراب الأوهام دون الحقيقة، و الظاهر دون الباطن، و البوار و الهلاک دون الحياة، و مواطنها كلها هو الدنيا التى حياتها متاع الغرور، و لذلک فلها ارتباط خاصّ بجهنم، قال سبحانه:

« **و إن منكم إلا واردها كان على ربک حتما مقضياً * ثم ننجّى الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثياً** » [3] .

و قال سبحانه فى سورة السجدة:

« **و لو شئنا لأتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملأنّ جهنم من الجنة و الناس أجمعين** » [4] .

و هذه أبلغ الآيات فى الكشف عن شأن جهنم، و لذلک ورد عنهم (ع) -كما فى ثواب الأعمال عن الصادق (ع)-: « **من اشتاق إلى الجنة و إلى صفتها فليقرأ الواقعة، و من أحب أن ينظر إلى صفة النار فليقرأ سجدة لقمان** »[5]، و فى معنى الآية السابقة قوله:

« **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون** » [6] .

و ممّا ظهر يظهر معنى صنف آخر من الآيات كقوله سبحانه:

« **فاتقوا النار التى وقودها الناس و الحجارة** » [7] .

و قوله:

« **قوا أنفسكم و أهليكم ناراً وقودها الناس و الحجارة** » [8] ،

و المراد بالحجارة بقرينة المورود، و هى الأصنام المتخذة من الحجارة المعبودة من دون الله.

---

[1]- سورة إبراهيم الآيتان : ٢٨ و ٢٩.

[2]- سورة فاطر الآية : ١٠.

[3]- سورة مريم الآيتان : ٧١ و ٧٢.

[4]- سورة السجدة الآية : ١٣.

[5]- ثواب الأعمال: ١١٧.

[6]- سورة التين الآيات : ٤-٦.

[7]- سورة البقرة الآية : ٢٤.

[8]- سورة التحريم الآية : ٦.

و قوله سبحانه:

« **و أولئک هم وقود النار** » [1] .

و قوله سبحانه:

« **إنكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم** » [2] .

و قد استدرک سبحانه المعبودين من دون الله من عباده الصالحين بقوله –بعد الآية–:

« **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئک عنها مبعدون** » [3] .

و قوله سبحانه:

« **نار الله الموقدة * التى تطلع على الأفئدة** » [4] الآيات .

و اعلم أن ما مر أصول صفة النار، و هى المستفادة من البرهان السابق.

---

[1]– سورة آل عمران الآية : ١٠.

[2]– سورة الأنبياء الآية : ٩٨.

[3]– سورة الأنبياء الآية : ١٠١.

[4]– سورة الهمزة الآيتان : ۶ و ٧.

الفصل السادس عشر

فی عموم المعاد

قال سبحانه:

« **ما خلقنا السموات و الأرض و ما بينهما إلا بالحق و أجل مسمّى** » [1] .

أفاد أن خلقه ما فی السموات و الأرض و ما بينهما مقرون بالحق و أجل مسمى، (و الباء للسببية أو للمحصاحبة)، و قد عرفت فی عرفت فی الفصل الأول أنَّ الأجل المسمّى هو الحياة عند الله حياة تامة سعيدة من غير فناء و زوال و لا شوب بمزاحمات الحياة الدنيا و آلامها و أعراضها و أغراضها، و هی حياة الدار التی نزلت منها كما قال سبحانه:

« **و إن من شیء إلا عندنا خزائنه و ما ننزّله إلا بقدر معلوم** » [2] .

فمنبع حياة جميع هذه الموجودات على كثرتها و تفصيلها حياة تامة غير محدودة و معادها إلى ما بدئت منه.

و هذا هو الذی يعطيه كون الخلقة بالحق، فإن الباطل هو الفعل الذی لا ينتهی إلى غاية تكون هی المنتهى إليها، و المراد بالفعل، و من المحال ان يكون المراد و الغاية بالفعل نفس الفعل، و بالخلق نفس الخلق، إلَّا أن يكون كاملاً فی أصل وجوده غير متدرج من النقص إلى الكمال، ثابتاً غير متغير، فالبراهين مطبقة على ذلک على أنه من القضايا التی قياساتها معها.

و مثل الآية السابقة قوله سبحانه:

« **و ما خلقنا السماء و الأرض و ما بينهما باطلاً** » [3] ،

و حيث لم يفرق سبحانه فی السياقين بين الموجودات الحية باعتقادنا و غيرها، و العاقلة و غيرها، علمنا بذلک أن حكم المعاد و الحشر يعمّ الجميع.

ثم إنه سبحانه قال فی خصوص الأحياء من خليفة الأرض:

« **و ما من دابة فی الأرض و لا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرّطنا فی الكتاب من شیء ثم إلى ربهم يحشرون** » [1] .

---

[1]- سورة الأحقاف الآية : ٣.

[2]- سورة الحجر الآية : ٢١.

[3]- سورة ص الآية : ٢٧.

و ظاهرُ آخر الآية أنَّ حشرهم إنما هو لكونهم أمماً أمثال الناس غير باطل الخلق، ففيهم غاية مقصودة من الخلقة، و هى العود، فالفرق و النشر مقصود للجمع و الحشر، كما أن الجمع و الحشر مقصود للفرق و النشر، يعطى ذلک قوله سبحانه:

« **و إن من شيء إلا عندنا خزائنه** » [٢].

و كذلک صفاته و أسماؤه تعالى، فاعتبر إنْ كنت من أهله إن شاء الله. فحشرهم إلى ربهم نتيجة كونهم أممّاً أمثال الناس أو كالنتيجة له، و يبين السبب فى ذلک قوله تعالى:

« **ما فرّطنا فى الكتاب من شيء** » الآية.

فإنه الكتاب الحق الذى يقول فيه هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق، و حقية الكتاب تعطى أن لا تكون الإختلافات التى تجعل الدواب و الطير أمة أمة، تفترق كل أمة عن غيرها بأشكال و صور و أفعال و خواصّ فيها لغواً باطلاً، بل مؤثراً، فى الغاية و المنتهى من دون استهلاک لها و زوال فى الوسط قبل البلوغ إلى الغاية، و إلّا كان الإختلاف باطلاً و تفريطاً فى الكتاب، مخلاً لإتقانه، فقد تحصّل أن الحيوانات الأرضية أمم أمثال الناس بينهم و لهم ما للناس من العود إلى ربهم و الإجتماع عنده سبحانه، و قال سبحانه أيضاً:

« **و من آياته خلق السموات و الأرض و ما بث فيهما من دابة و هو على جمعهم إذا يشاء قدير** » [٣].

فعمّم الحكم إلى كل ذى روح فى السموات و الأرض.

و مثله قوله سبحانه:

« **إن كل من فى السموات و الأرض إلا آتى الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدهم عداً * و كلهم آتيه يوم القيامة فرداً** » [٤].

و قوله:

« **عبداً** » الآية،

يعطى أن لكل منها عبودية بحسب نفسه، و نسكاً إليها يتقرب به إلى ربه، و قد مرّ تفسير الفرد.

و اعلم أن قوله:

---

[١]- سورة الأنعام الآية : ٣٨.

[٢]- سورة الحجر الآية : ٢١.

[٣]- سورة الشورى الآية : ٢٩.

[٤]- سورة مريم الآيات : ٩٣-٩٥.

« **و كلهم أتيه يوم القيامة فرداً** » .

على ما تفسره الآيات من معنى الفرد يعطى لقوله:

« **و هو على جمعهم** » الآية.

معنى آخر غير ما يتسابق إلى الفهم من معنى الجمع، و قد تكرّر إطلاق الجمع و الحشر على البعث فى الآيات، كقوله:

« **ليجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه** » [1] .

و قوله:

« **يوم يجمعكم ليوم الجمع** » [2] .

و بذلک يتّضح معنى قوله سبحانه:

« **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً** » [3] .

و قوله:

« **وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً** » [4] .

و قوله:

« **ليميز الله الخبيث من الطيب و يجعل الخبيث بعضه على بعض فيُركمه جميعاً فى جهنم** » [5] .

و لنرجع إلى ما كنا فيه، و يشير إلى بعث غير ذوى الروح و الشعور قوله سبحانه:

« **و من أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة و هم عن دعائهم غافلون * و إذا حشر الناس كانوا لهم اعداء و كانوا بعبادتهم كافرين** » [6] .

و ضمير « كانوا » فى الموضعين راجع إلى المعبودات من غير الله، كما يدل عليه قوله سبحانه:

« **ذلكم الله ربكم له الملک و الذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم و لو سمعوا ما استجابوا لكم و يوم القيامة يكفرون بشرككم و لا ينبّئک مثل خبير** » [1] .

---

[1]- سورة النساء الآية : ٨٧.

[2]- سورة التغابن الاية : ٩.

[3]- سورة الزمر الآية : ٧٣.

[4]- سورة الزمر الآية : ٧١.

[5]- سورة الأنفال الآية : ٣٧.

[6]- سورة الأحقاف الآيتان : ٥ و ٦.

و كفرهم قولهم على ما حكاه سبحانه:

« **تبرّأنا إليک ما كانوا إيانا يعبدون** » [٢] .

و بالجملة فقوله:

« **من لا يستجيب له ...** » [٣] الخ،

ظاهر الدلالة على أنه المعبودات من غير الله من النبات و الجماد غير البشر و الملائكة فهم مبعوثون ليوم القيامة بدلالة قوله:

« **و إذا حُشر الناس كانوا لهم اعداء** » [٤] الخ .

و يدل عليه بعينه قوله سبحانه:

« **أموات غير أحياء و ما يشعرون أيان يبعثون** » [٥] .

و اعلم أن ظاهر هذه الآيات ملازمة البعث مع الحياة و العلم كما يفيده حال الضمائر فى الآيات، فما ألطف إشارة قوله:

« **و من آياته خلق السموات و الأرض و ما بث فيهما من دابة و هو على جمعهم إذا يشاء قدير** » [٦] .

و قد مر فى فصل الشهود أنّ ظواهر الآيات تعطى سراية الحياة و العلم إلى جميع الموجودات.

و اعلم أن ما ذكرناه من شمول البعث لغير البشر و الملک من سائر ما خلق الله تعالى فى السموات و الأرض و ما بينهما هو الذى يدل عليه الأخبار، إلا أنها متفرقة مثل ما يدل على أن كلب أصحاب الكهف، و ناقة صالح، و النعم التى حجّ عليها ثلاث سنين أو سبعاً تدخل الجنة، و أن الوحوش و الكلاب تدخل النار تنهش المجرمين. قال تعالى:

« **و إذا الوحوش حشرت** » [٧] .

---

[١]– سورة فاطر الآيتان : ١٣ و ١۴.

[٢]– سورة القصص الآية : ۶٣.

[٣]– سورة الأحقاف الآية : ۵.

[۴]– سورة الأحقاف الآية : ۶.

[۵]– سورة النحل الآية : ٢١.

[۶]– سورة الشورى الآية : ٢٩.

[٧]– سورة التكوير الآية : ۵.

و ما ورد أنّ الله تعالى يأخذ يوم القيامة للجماء من القرناء، رواه فى المحاسن عن أمير المؤمنين (ع) [1] و فى المجمع عن النبىّ (ص) [2].

و ما ورد من قوله (ص) –حين رأى ناقة معقولة عليها جهازها–: « **أين صاحبها مروه فليستعد غداً للخصومة** »، رواه فى الفقيه عن النبىّ (ص)[3]، و ما ورد عنهم (ع) فى مانع الزكاة أنه « **تنهشه كل ذات ناب بنابها و تطأهُ كل ذات ظلف بظلفها** »[4] وما ورد فى الضحايا إلى غير ذلک.

و اعلم أن الآيات غير متعرضة لحال بعث من خلقه الله تعالى فيما وراء السموات و الأرض، و هم جماعة من خلق الله تعالى لا يجدّ وجودهم حدّ، و لا يقدر ذواتهم قدر، فهم أرفع من الحدّ و القدر فلا يتصوّر فى حقهم بعث و إعادة غير أصل خلقهم و الصفات التى تبرز يوم القيامة حاصلة عندهم دائماً و قد ذكرناها فى الفصل الرابع، فالبدء و العود فى حقهم واحد و لذلک لم يرد فى كلامه سبحانه ما يشعر بالبعث فى حقهم هذا.

و يلحق بهم فى ذلک المخلصون، فقد مرت نبذة من حالهم فى تضاعيف الفصول الماضية فهم عند الله لا يحجبهم عنه حجاب مستور، ليسوا فى سماء و لا أرض، و هم المهيمنون على الجميع المتوسّطون بينه و بين خلقه فى المبدأ و المعاد، و هم المستثنون من حكم قبض ملک الموت و أعوانه و الآمنون من فزع النفخة و صعقتها، و هم غير محضرين لعرصة المحشر، و هم السالكون فى الحجاب، الحاكمون بين الناس، و لبيان أزيد من هذا من صفاتهم مقام آخر.

و اعلم أن ما مرّ هو المستفاد من البرهان على ما تعطيه الأصول السابقة، فإن الغاية عين الفاعل بالضرورة، فما بدأ منه شىء فى وجوده و تعين من لدنه فى ذاته لا بُدَّ أنْ يكون هو المنتهى إليه وجوده.

و من هنا يظهر أنَّ كلّا من الجنة و النار ذات مراتب و درجات، فمراتب الجنة آخذة من تحت إلى فوق و مراتب النار بالعكس من ذلک.

و من هنا يظهر أنّ كل درجة عالية فى الجنة مرتبة لفاعل ذى الدرجة الدانية و لو تصور فى النار مثل ذلک لكان الأمر بعكسه.

---

[1]– المحاسن: ۶۸/۱، باب الثلاة، الحديث ۱۸.

[2]– تفسير مجمع البيان: ۶۷۳/۱۰.

[3]– من لا يحضره الفقيه: ۱۸۹/۲، الباب ۹۳، الحديث ۱.

[4]– تفسير العياشى: ۲۲۱/۱، الحديث ۱۷۷.

و من هنا يظهر معنى اللحوق و الشفاعة و قد مرّ مراراً و يظهر معنى جمّ غفير من الآيات و الروايات، و الله الهادى و هو المعين.

خاتمة

و قد عزمنا فيما مرّ على تخصيص فصل مستقل فى آخر الرسالة بالكلام فى معنى المغفرة، لكن ضيق المجال، و تراكم الأشغال منعنا عن الكلام، و حجب دون المرام، و الله سبحانه أسأل أن يوفّقنى أن ألحق فصلاً بهذه الرسالة يتبيّن به ما كنا نريده من وضع الكلام فى ذلک، و أرجوه إن يشاء ذلک فإنه على كل شىء قدير.
و اعلم أن نوع الكلام فى مباحث المعاد طويل الذيل، مبسوط الأطراف و يهديک إلى ذلک أن تتدبر فى ما ورد فى كل من المبدأ و المعاد من الآيات القرآنية و البيانات الإلهية.

و الذى صدّنا عن الغور فى أكثر مما تشاهده فى تضاعيف الفصول السابقة، هو إيثار الإختصار، على أنّ بسط المقال بأزيد ممّا رأيت غير ميسر و لا ميسور عند الباحثين عن الحقائق، و لذلک فالإشارة فى هذه المطالب تغلب العبارات، و لذلک غيّرنا أسلوب هذه الرسالة عن سائر الرسائل المتقدمة عليها.

الحمدلله على الإتمام بالدوام، و الصلاة على أوليائظ المقرّبين، سيّما سيدنا محمد و آله و السلام، وقع الفراغ فى العشر الأول من شهر جمادى الثانية من شهور سنة ألف و ثلثمائة و واحد و ستّين هجرية قمرية، و أنا العبد محمد حسين الحسنى الطباطبائى.

كّتبت فى قرية شادآباد من أعمال بلدة تبريز.